كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

المصطلح الأدبى
بين
دلالة المفهوم وإشكالية التنظير

إعداد

أ.د / رمضان حسانين جاد المولى

أستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الأول ٢٠١٤م)

﴿ المقدمة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه ، وله الشكر على جزيل عطائه ، والصلاة والسلام على رسل الله وأنبيائه أما بعد ...

فإن الاصطلاح حقل معرفي واسع ، به يتوحد الفكر ، وتنضبط الدلالة ، فهو مفتاح العلوم ؛ للولوج إلى ساحات الفكر الرحبة ، واللغة التي لا تنتج مصطلحَاتها هى لغة ضعيفة ، تنأى بمجتمعاتها عن خوض غمار الحضارة ، فتعيش على هامشها .

لذا حرص العلماء العرب منذ القدم على العناية بالمصطلح ، وتحديد مفهومه ، وتوضيح المراد به ، إذ هو نشاط مارسته العرب عبر الزمن ، واتخذت منه حقلاً معرفياً ؛ تجلت ملامحه في المعاجم المنجزة عبر العصور [١]. ولكن : هل استطاع المصطلح العربى المواءمة بين التنظير والمفهوم فى دقة وجلاء ؟ ،..تلك إشكالية يطرحها هذا البحث ، وقد خصصت (المصطلح الأدبى بين دلالة المفهوم وإشكالية التنظير) من خلال انتخاب بعض المصطلحات الأدبية ؛ منها ما هو عربى خالص ، ومنها ما هو مترجم عن لغات أخرى ؛ انطلاقا من خصوصية المصطلح الأدبي التى تكمن فى كونها مولدة لدلالات وظلال للمعاني ، وليست أنساقًا مفرغة للمفهوم ، ونحن بجهدنا المتواضع في هذا البحث نحاول التأصيل لبعض مصطلحات الأدب وتفريعاته في شكل نسقي ، يأخذ صورة البحث النظري ، وليس

(١) مثل : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ، ومفاتيح العلوم / الخوارزمي ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، وغيرها .

صورة المعاجم النسقية ؛ لنرى إلى أي حد يكون المصطلح الأدبى دقيق الدلالة محدد المفهوم .

وكان منهجى لدراسة هذا الموضوع ؛ يجمع بين الإطار التاريخي التأصيلي والمنهج الوصفي التحليلي ، وقد اقتضى هذا المنهج ؛ أن أناقش ذلك في **أربعة مباحث** ، يسبقها **المدخل** ، الذى بينت فيه ﴿ المصطلح ـ مفهومه ـ أهميته ـ مزالقه ﴾ ثم جعلت **المبحث الأول** منها يدور حول " الأدب وإشكالية المصطلح " ، ثم كان **المبحث الثانى** " الأدب الإسلامي وإشكاليات الدلالة " ، ثم ناقشت فى **المبحث الثالث** ﴿ الأدب المقارن بين المفهوم والوظيفة ﴾، وفى **المبحث الرابع** تناولت﴿ مصطلح الأدب الحديث والأدب الحداثي ﴾ .

وقد وقفت مع كل مصطلح منها منطلقا من دلالته الوضعية وتاريخيتها ، ومن ثم استقراء واقعها فى ظلال تساؤلنا الدائم عن العلاقة بين المفهوم والدلالة ، وبين طبيعة الفن وظروف الاصطلاح ، وقد أنهيت عملى **بخاتمة** ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات .

والله أسأل أن يكون عملى هذا خالصا لوجهه ، وخدمة للغتنا وأدبنا ، وأن يفتح العمل أفاقا جديدة للسير على الدرب واستكمال المسيرة . وختاما ، فكل جهد بشرى يلحقه النقص وحسبى أننى حاولت ، وعلى الله قصد السبيل .

﴿ المدخل ﴾

﴿ المصطلح ـ مفهومه ـ أهميته ـ مزالقه ﴾

الاصطلاح عمل أقرب إلى الفطرة ، فقد اعتاد البشر على تسمية أعلامهم ، وأعيانهم ، وبلدانهم ؛ بأسماء تميزهم ، والتسمية باب فى الاصطلاح ، فالاشتراك بينهما فى التحديد والتمييز الدقيق المقصود غير خاف ، فإذا كانت التسمية اصطلاح للتعريف بالأشخاص ، والأعيان ، والبلدان ؛ اعتادها العرف ، فدلالتها عفويّة يشترك فيها العقل الجمعى العام . أما الاصطلاح فهو ؛ تسمية لقواعد العلم ، وخواصه ، ومنطلقاته فهو وجه من وجوه التواضع التوافقي بين مّن لهم أهليّة التوليد والصياغة من المنتسبين إلى فضاء معرفى له خصوصيّته ، دافعهم حاجة مشتركة إلى توحيد الخطاب العلمى أو تخصيصه فى سياق معيّن ؛ ليصبح لغة علمية لها مفهومها الخاص فى سياق أهل هذا الفن أو ذاك ، وذلك عبر فعل المواضعة حول أشكال الاصطلاحات ومفاهيمها [١].

بين التعريف والمفهوم و المصطلح :

كان لا بد قبل تعريفنا للمصطلح أن نميز بينه وبين التعريف والمفهوم ، ونستبين الفروق العلمية الدقيقة بينها ، أما التعريف : فهو تصيير الشيء معروفا بما يميزه عما يشتبه به ، بذكر جنسه وفصله ، أو لازم من لوازمه التي لا توجد في غيره ، أو شرح اللفظ الغريب بلفظ مشهور مألوف [٢] فالتعريف حد منطقي يفيد في اكتساب صورة المعرَّف ، يهدف إلى إكساب المعرف صورة كلية ترسم حدوده

(١) الثقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ٩٦ .

(٢) الثقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة ، عبد الله إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ٩٦.

بين الأشياء والماهيات الأخرى المتداخلة ، فهى صورة نظرية متخيلة تروم تحقيق الإلمام الكلّي جمعا ومنعا ، أما المفهوم فهو المعنى الذهني الذي يثيره اللفظ في الأذهان ، فهو في منزلة وسطى بين المصطلح واللفظ اللغوي نظرا لأنّه يحيل على مجال دلالي عام ؛ دون أن تنحصر دلالته في معنى معيّن . أما الاصطلاح فهو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ...(ومن ثمّ يغدو) لفظا معيّنا بين قوم معيّنين ، فحديّة التعريف هي الميزة الفارقة في التمييز بين المفهوم والمصطلح ، فالمفهوم يعرّف إجرائيّا ولا يتسنّى تعريفه حديّا ، فإن عرّف حدّيا غدا مصطلحًا ، بينما المصطلح يعرّف حديّا لكن يمكن تعريفه إجرائيّا تجاوزا على سبيل التوضيح والتقريب مع احتفاظه بالضوابط التي تميّزه بوصفه مصطلحا . ومن ثمّ يكون بين دلالات هذه الألفاظ وضع عموم وخصوص فكلّ حدّ مصطلح ، وكلّ مصطلح مفهوم ، وليس كلّ مفهوم مصطلحا ولا حدّا ، كذلك لا يكون المصطلح حدّا [1] ولكى نستطيع الولوج إلى المصطلحات الأدبية التي اخترنا دراستها ؛ كان لابد لنا أن نمهد في مدخل بحثنا بما يوقفنا على مفهوم المصطلح ، وأهميته ، ومزالقه

أولاً : **مفهومه** :

الاصطلاح : افتعال من الصلح مشتق من الفعل الثلاثي " صلح " فابن منظور يقول في لسانه : "تصالح القوم بينهم والصلح: السلم ، وقد اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا وتصالحوا واصّالحوا، مشدّدة الصاد، قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد بمعنى

(١) الدراسة المفهومة مقاربة تصوّريّة و منهجيّة ، مقال (سعاد كوريم) مجلّة إسلاميّة المعرفة، إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عدد٦٠، السنة ١٥، ربيع ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م، بيروت–لبنان، ص٣٩.٤٠.

واحد..." [١] وفي تاج العروس للزبيدي " واصطلحا واصّالحا مشدّدة الصاد، قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد، وتصالحا و اصتلحا بالتاء بدل الطاء، كلّ ذلك بمعنى واحد"[٢] ، قال الزمخشري : " صلح فلان بعد الفساد ، وصالح العدو ... وصالحه على كذا ، وتصالحا عليه واصطلحا "[٣] ، وتصالح القوم على الأمر : تعارفوا عليه واتفقوا [٤] ، فالتاء بمعنى التشارك والاشتراك، ومعنى التفاعل مخرج من المطاوعة ، وسواء أكان مصدرا ميميا للفعل اصطلح ، أو اسم مفعول لذات الفعل على تقدير متعلق بمحذوف أي " مصطلح عليه " .. فالمادة تدور حول الاتفاق والتوافق ، وكلتا اللفظتين لم تردا في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، أو في استخدامات العرب القدامى ، لكن مع الحاجة إلى الاصطلاح بعد تكون العلوم في الحضارة العربية الإسلامية استخدمتا اللفظتين لغة الكتاب المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد ؛ للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص ، وأصبح الفعل " اصطلح " يحمل أيضًا هذه

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت–لبنان، د–ط، ١٩٨٨، المجلّد الثالث، ص ٤٦٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمّد مرتضى)، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، مادة "صلح".

(٣) أساس البلاغة / جار الله محمود بن عمر الزمخشري / ج٢ ط ٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ ص ٢٣ .

(٤) المعجم الوسيط ، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية. مادة " صلح " ، بدون تاريخ .

الدلالة الجديدة المحددة . [١]

وقد عرف العرب القدماء المصطلح ، على مستوى الاستخدام والتداول ، بل نظروا له ووضعوا له المصنفات الخاصة به في العديد من حقول المعرفة ، ولعل علم مصطلح الحديث أقربها ورودا إلى ذهنية الثقافة العربية ، بالإضافة إلى مصطلحاتهم فى الفقه والقراءات ، واللغة والمناظرة (المنطق) ، كما كان مستخدما خلال القرن الثامن الهجري على يد بعض الصوفيّة والمؤرّخين وكتاب دواوين الإنشاء الذين سموا به بعض مؤلّفاتهم وذكروه في ثنايا كتبهم . [٢]

والجدير بالذكر أن علماءنا القدامى قد أعطوا أمر الاصطلاح من عنايتهم في مجال فهمه وتحديد معناه وبيان أهميته ، غير أنهم استعملوا الاصطلاح والمصطلح بمعنى واحد مترادف ؛ إلا أن استخدامهم (للاصطلاح) كان أكثر وأشهر ، فالجاحظ يقول : " ... وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح . محمود فهمي حجازي ، مكتبة غريب بدون تاريخ ص ٨ .

(٢) نجد ذلك فى مؤلفات مثل "المقترح في المصطلح" لأبي منصور محمّد بن محمّد البروي (ت ٥٦٧هـ) " الألفيّة في مصطلح الحديث" للزين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) وكتاب " نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ) . "التعريف بالمصطلح الشريف" لابن فضل الله العُمَري (ت٧٤٩هـ) ، وفي القرن الثاني عشر الهجري، ظهر كتاب "كشّاف اصطلاحات العلوم لمحمد التهاوني ، وكتاب "اصطلاحات الصوفية "عبد الرزاق الكاشاني (ت ٧٣٦هـ) . لمعرفة المزيد ؛ راجع كتاب على القاسمى : علم المصطلح أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان:ناشرون، بيروت . لبنان ، د . ط ، ٢٠٠٨.

اسم ، فصاروا في ذلك سلفًا لكل خلف ..."[١]. ، وهو اتفاق القوم على وضع الشيء.وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد . ويستعمل الاصطلاح غالبا في العلم الذي تُحصَّل معلوماته بالنظر والاستدلال. [٢]

وعلى هذا النحو نجد الخوارزمي ت ٣٨٠هـ ، في وصف لكتابه "مفاتيح العلوم " يذكر أنه صنفه " .. جامعًا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات ، مضمنًا ما بين كل طبقة من العلماء من الصفات والاصطلاحات " . [٣]

أما أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ فيستخدم اللفظتين على حد سواء يقول : " حتى لا يكون شيء منه مصطلحًا عليه " [٤] ، ويقول " ولو كانت اللغة مواضعه واصطلاحًا ، لم يكن أولئك في الاحتجاج بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق " [٥] .

ويقول في موضع آخر : " لم يبلغنا أن قومًا من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك

(١) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق / عبد السلام هارون ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ ج١ص٢٠.

(٢) انظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق : ١٢٩ دنان درويش – محمد المصري ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت –١٣٠..

(٣) مفاتيح العلوم / الخوارزمي ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الثانية ١٩٨٥م ص ٢ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن في كلامها / أحمد بن فارس تحقيق السيد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ص ٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٧ .

على اصطلاح قد كان قبلهم ... " .[١]

والتهانوي سمى كتابه باسم " كشاف اصطلاحات الفنون " وذكر في سبب وضعه لهذا الكتاب ، أنه لاحظ " اشتباه الاصطلاحات ، فإن لكل اصطلاحًا خاصًا به " . [٢]

والشدياق يستخدم لفظ اصطلاح دون مصطلح يقول : " إن الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص " [٣] ونجد من الباحثين من يفضل استخدام لفظ " الاصطلاح " على لفظ "مصطلح" بل يرى أن لفظة " اصطلاح " هي الأولى بالاستخدام ويتعجب من استخدامنا للفظة " مصطلح " بديلاً عنها يقول : " إنه لغريب حقًا أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة " مصطلح" بدلاً من " اصطلاح " مع العلم أن هذه الكلمة لا تصلح لغة إلا إذا اصطلحنا عليها ، وذلك أن أسلافنا لم يستخدموها ، ولم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها ، وإنما استخدم العرب بدلاً منها "اصطلاح" . [٤]

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن في كلامها ، ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون " للتهانوي " محمد علي الفاروقي تحقيق لطفي عبد البديع المؤسسة المصرية سنة ١٩٦٣م ص ١ وما بعدها .

(٣) الجاسوس على القاموس / أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب القسطنطينية سنة ١٢٩٩هـ ص ٤٣٧ .

(٤) الاصطلاح : مصادره ومشاكله . مقال ليحيى عبد الرؤوف جبر / مجلة اللسان العربي العدد ٣٦ ص ١٤٣ سنة ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .

ويرى الدكتور / عبد الصبور شاهين " أن التفرقة في الاستدلال . بين اصطلاح ومصطلح . لم تكن واضحة قديمًا " [١] ، ويرى أن استعمال كلمة " اصطلاح " إنما يعني معناها المصدري الذي هو الاتفاق والمواضعة و أن كلمة " مصطلح " فتنبئ عن معناها الاسمى ، ولذلك لا يرى بأسًا في أن نقول : " إن اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث " [٢] .

وأرى أنه بذلك يرد على ما أورده " يحيى عبد الرؤوف في مقاله من اعتراض على استخدام لفظ المصطلح ، وأتفق مع رأي د/ شاهين في أن " المصطلح " أولى بالقبول وأجدر لما له من وجاهة فإطلاق لفظ " مصطلح " فوق ما ذكر الدكتور شاهين ، نجد أن العرف اللغوي العام في مجال البحث قد أقره وتبناه ، والسياق العام يقتضيه ألا ترى أن ما نصطلحه هو "مصطلح " لا "اصطلاح".

فالمصطلح لفظ موضوعي ، تواضع عليه المختصون بقصد أدائه معنى معينًا بدقة ووضوح شديدين ، بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع لسياق النص . [٣]

وهذا المفهوم الخاص بالمصطلح لا يكاد يختلف كثيرًا عن سائر التعريفات الواردة له في القديم أو الحديث سواء من استخدم لفظة "اصطلاح" أو " مصطلح " فالزبيدي يجمله في أنه " ... اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" [٤] .

---

(١) اللغة العربية لغة العلوم والتقنين د/ عبد الصبور شاهين دار الإصلاح / الدوحة ط/ ١ سنة ١٩٨٣م ، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٩ .

(٣) المعجم الأدبي د/ جبور عبد النور، دار العلم للملايين ط١ أزار سنة ١٩٧٩م

(٤) تاج العروس مرجع سابق مادة " صلح " .

والشدياق يكرر تعريف الزبيدي بنصه وحرفه [١] ، ويتحول لفظ المصطلح عند د / شاهين إلى رمز لغوي ذي طبيعة خاصة فالمصطلح عنده هو " اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي موضوع أخر ذي طبيعة خاصة "[٢].

أو هو " الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد " . [٣]

إذن فالاصطلاح هو تلك العملية اللغوية التي تكتسب فيها اللغة المصطلحة دلالة تجمع الخصائص المشتركة والصفات النوعية لحقل من حقول المعرفة الإنسانية أو فرعًا من فروعه ، فإذا ما ذكرت اللفظة المصطلحة وفق سياقها الاصطلاحي ، كانت مرادفًا لما يحمله ما اصطلحت عليه من سمات وخصائص ، ومحددًا دقيقًا لا يقبل الخلط بينه وبين غيره ، بحيث يتبدى في سياق استخدامه الاصطلاحي في ذهن المتلقي بدقة ووضوح شديدين ، ويصبح أداة التواصل بين المشتغلين في حقل من حقول المعرفة ، وهذا لا يعني أن يتجرد اللفظ من معناه اللغوي المعجمي المتعارف لدى المتخاطبين ، بل يحتفظ بدلالتها تلك ، إلى جوار دلالته الاصطلاحية ، بحيث تتحدد الدلالة اللفظية للفظ المصطلحَّية عند استخدامه في سياقه الاصطلاحي ، بين أرباب العاملين في حقل من حقول المعرفة .

ثانياً : أهميته وصياغته :

(١) الجاسوس على القاموس . مرجع سابق ص ٤٣٧ .

(٢) اللغة العربية لغة العلوم والتقنين مرجع سابق ص ١١٨ .

(٣) قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية . أحمد أبو سعد ، مكتبة لبنان ط بيروت ١٩٨٧م ص ١٦.

يمثل المصطلح لغة خاصة لكل أصحاب علم أو فن أو حرفة ، ورابطًا فكريًا يجمع أرباب الفن الواحد ، كما يمثل عاملاً من عوامل الربط بين الحضارات والثقافات ، وجسرًا تمتد عبره المعارف والخبرات ييسر نقل المعارف والعلوم والابتكارات ومفردات الفن في إيجاز ويسر .

والحاجة إلى المصطلح لا تنتهي ودائرته لا تغلق ، ومجاله لا يحد ، فهو علم دائم النمو والتطور لأنه مرتبط بنمو المعرفة الإنسانية ، واتساع دائرتها ونطاقها ، فكلما جد جديد في حياة الإنسان اصطلح على تسميته ، فعملية الاصطلاح لا تنتهي عند حد ؛ لأن المعرفة الإنسانية لا تتوقف .

ودوره نابع من أهميته في نقل العلوم والمعرفة ، ونشر النظريات المختلفة التي تخدم جوانب الحياة الإنسانية كافة ، كما أنه يحقق التواصل بين الشعوب ، ويقرب بين الثقافات ويوثق الصلات الفكرية بين الأمم المختلفة بتوحيد مفاهيم العلم والفكر والثقافة ، ويكون معينا على ترجمة إبداعات الأمم بعضها لبعض بفضل ضبط المصطلح ؛ بما يحققه من تواصل وتلاق فكرى ، فيلعب دورًا مهمًا في نقل المعرفة ونشر مستحدثات الحضارة ومستجدات العلم .

صياغته :

المصطلح في مفهومه الحديث علم معقد يشترك فيه جملة علوم مثل " علم اللغة والمنطق ... وغيرها ، وهو وسيلة رئيسة لتكوين وتنظيم وتطوير المعارف . (١)

(١) دراسات في فقه اللغة / د صبحي الصالح /دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ،الطبعة السادسة عشر ٢٠٠٤ ص ٣٤٩ .

ونستطيع أن نقسم المصطلح من حيث دوافع صياغته إلى قسمين :

الأول : المصطلح الذي نشأ بين ظهرانيّ العربية وفق متطلبات مجتمعاتها وحاجاتهم المعرفية إليه.

الثاني : هو المصطلح المترجم أو المعرب ، وهو المصطلح الذي احتجنا إلى نقله وتعريبه ، ونحن نتعامل مع العلوم والمعارف الوافدة .

أما الأول فيصاغ ويتداول إما بجهد فردي لأحد العلماء أو المفكرين ، فيروق استخدامه للعاملين في الحقل الإبداعي ، ويلقى رواجًا في استخدامه ، ثم سرعان ما يرتبط بأذهان الجماعة ، ويصبح استخدامه قاسمًا مشتركًا يؤدي إلى المدلول الاصطلاحي دون حاجة إلى تفسير ، وإما أن يصاغ ويتداول من خلال وعي جماعي ؛ ليصبح المصطلح تراثا لا نعرف على وجه الدقة من صاحبه ، ومن اخترعه وابتدعه ، لكنه يتولد بين ظهرانينا توالدًا طبيعيًا ، وفى كلا الحالين فإن الحاجة الدلالية الماسة إليه هي المخاض الذي ينتج عنه ، وهي لا توضع ارتجالاً ، بل نجد دائمًا مناسبة بين الدلالة اللغوية الأولى والمفهوم الاصطلاحي ، وهذه المشابهة بين الدلالتين هي الرابط في أذهان المتلقين ، والمتداولين له .

والمصطلح خلال مسيرته التاريخية يكتسب أبعادًا جديدة ، أو يدخل في نطاق تخصيص أكثر دقة ، وهذه التاريخية تكسبه بعدًا تراثيًا ، وقدرة على الانتشار والثبات في القاموس الاصطلاحي دالا على المنحى المعرفي الخاص به .

أما الثاني : وهو المصطلح المنقول " ترجمة أو تعريبًا " فقد كان في السابق يعتمد على المترجم أو الناقل عن اللغة الأخرى إلى لغتنا العربية الأم ، وفي عصرنا الحديث جدت دواع عديدة ، منها الانتشار السريع للأفكار والفنون والمخترعات ؛ مما يستوجب منا إطلاق مسميات أو مصطلحات على ما هو وافد

إلينا من فكر أو فن أو ابتكار؛ للحفاظ على لغتنا وهويتنا ؛ مما استدعى قيام هيئات منظمة تمثلت في المجامع اللغوية ، والهيئات العلمية والثقافية لتختار للمصطلح الوافد ما يناسبه في العربية من لفظ قائم تراعي فيه البعد الدلالي للفظة في استخدامها ، وبعدها الدلالي في استخدامها المصطلحي ، أو تنحت من العربية مصطلحًا مناسبًا لما هو وافد إلينا ، ومن ثم استنباته في تربتنا العربية .

ثالثاً مزالقه :

المصطلح العلمي أشبه بالرمز المجرد ، لكنه يقع فى مزالق التعدد ، بتعدد الناقل ، أو عدم دقة صياغته لعدم تمكن ناقله من لغته الأم وهذان الأمران رغم خطورتهما ، إلا أن تجاوزهما ممكن وغير عسير ، إذا ما توحدت جهود المجامع العربية ودوائرها العلمية للوصول إلى المصطلح الواحد في اللغة الواحدة ؛ لكن الأمر في مجال الفنون والآداب جد خطير، فقد يتجاوز الناقل أو المعرب استقصاء دقائق المفهوم المعبر عنه ، لعدم وعيه بإيحاء وظلال المصطلح المسمى به ، إذ لابد أن تكون علاقة الملابسة بين المصطلح ودلالته موجودة سواء في حقيقة التسمية أو على سبيل التجوز [١] ، فإن الوظيفة الدلالية بين المصطلح ومفهومه يؤدي إلى تشتت العقلية المنتجة لها ، ولا يخدم العلاقة بين المصطلح ومفهومه .

ونحن لا نستطيع بحال أن نحمل اللفظة دلالة واحدة ثابتة ، لأن اللفظ الذي اصطلحناه يحمل إلى جوار دلالته الاصطلاحية دلالاته اللغوية الأخرى وفق السياق التعبيري ، ولا نستطيع أن نغفل البعد التاريخي الذي يتطور فيه المصطلح وبالتالي

(١) مجلة اللسان العربي مجلد ١ ج ض ص ٢٩٧ بتصرف مقال د/ تمام حسان : نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية .

مفهومه ودلالاته ، ولكن لا يمكن بحال أن يظل اللفظ المصطلح فضفاضًا لا يتسم بالدقة فى دلالته الاصطلاحية .

كما أنه ينبغي أن تقوم علاقة منطقية بين المصطلح ومفهومه فالمصطلح لا يطلق لمجرد التسمية بمعنى أن يكون رمزًا على المفهوم ، بل لابد أن تقوم علاقة منطقية تبرر الاصطلاح ، وتربط المصطلح بمفهومه ، فيصبح المصطلح ذا دلالة خاصة يتميز عن الدلالة الوضعية له في عموميتها .

فاللفظة في عموميتها يمكن أن تحمل معان غير محددة يميزها السياق ؛ أما المصطلح فتتوقف درجة وضوح معناه على دقة المفهوم المصطلح عليه ، ومن ثم فإن من أهم عوامل دقة المصطلح هو وضوح المفهوم الدال عليه بالمصطلح ، وأن يشتمل على الخصائص التي يتصف بها المفهوم ، فإن طابقت دلالة المصطلح دقة المفهوم على النحو المذكور أي بخصائصه وصفاته المختلفة كان المصطلح المفضل والأنسب للاستخدام ، ونتلافي أي خلط أو اضطراب فيه [١].

والمصطلحات الأدبية تختلف عن المصطلحات العملية في دقة تحديدها فالمصطلح الأدبي لا نستطيع أن نرسم له حدودًا فاصلة فصلاً مطلقًا وحتميًا ، ولا نستطيع مهما بلغت درجة التواضع والاتفاق في استخدام المصطلح أن يصير مانعا جامعًا عند حدود التعريفات المنطقية ، لأن المصطلح الأدبي له خصوصية الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه ، وهو حقل نتاج للمشاعر والأحاسيس ، كما أنه يقبل الذوق حكمًا فيه ؛ إضافة إلى تأثره بعامل الزمان والبيئة والثقافة ، فلا نستطيع أن

(١) في المصطلح العربي . قراءة في شروطه وتوحيده . مجلة جامعة الخليل للبحوث ، قسم اللغة العربية ، جامعة اليرموك إربد . علي توفيق الحمد . جامعة اليرموك ، المجلد الثانى ، العدد الأول ٢٠٠٥ بتصرف كبير .

نجرد عملاً ينتمي إلى الحقل الأدبي من هذه العوامل ، كما أن الطوابع الثقافية والبيئية تختلف والعقول تتفاوت ، إذا سلمنا بكل ذلك أدركنا أننا أمام حقل من المعرفة يتميز بخصوصية التفاوت ، ومن هنا فمن الصعب أن نخضعه لتعريفات منطقية ترسم حدودًا قاطعة ، بل يظل جزء من الجدل الفكري الدائر في حقله المعرفي ؛ بما يتعذر معه أن يكون محكم الرتاج بصورة نهائية كما هو الحال في المصطلحات العلمية .

فهل نسلم للمصطلح أن يظل فضفاضًا متميعا لا تحكمه روابط منطقية ، ويحيا في نواصي فكرية وحدود لا نهائية تؤدي إلى الاضطراب فى المفهوم ؟ . نقول إننا لا نستطيع أن نسلم بذلك لأنه يعني ألا إصطلاح على الإطلاق ، ولكن نتوسط فنقول إن المصطلح الأدبي مصطلح مرن فهو يوضع ضمانًا لعدم التشتت ، ويؤدي وظيفته بوصفه علامة ومؤشرا دالا على ما أطلق عليه ، بحيث يسمح له بالتحاور مع التحولات الفكرية ، و يتجاوب مع متغيرات سيكولوجية واجتماعية وتاريخية وبيئية ، فهو مرتبط إلى حد بعيد بطبيعة الفن ، ومحددات الموضوع الذي يفصح عنه ، والذى يتعذر التحكم في ضوابطه ، فلا نتوقع أن يكون صارمًا.

ونخلص إلى أن المصطلح العلمي قد يكون بمنجاة عن الغموض واللبس ؛ إذا اتبع واضعه الدقة اللغوية ، وتلافي كل مشترك بحيث تجردت الألفاظ تجردا منطقيًا حتى أصبحت كالرموز الرياضية ، لكن الأدب مهما تعددت المحاولات لتحييز مصطلحاته ، ومها دق اللفظ المصطلح وبالغ الواضع في تجرده ، فإن ارتباط الأدب بدواخل النفس الإنسانية ، وتلون المزاج الإبداعي بعوامل البيئة زمانية ومكانية يجعل من الصعوبة أن ينفرد المصطلح بدلالة مجردة ومحايدة .

ومن ثم فإننا نرى أن وضع المصطلح الأدبي يحتاج إلى تنظيم منظومات مصطلحية ، تمثل العلاقات بينها داخل الدائرة الأدبية شبكة متواصلة الحلقات ، بما

يساعد على تقديم وصف دقيق للمصطلح الأدبي في إطار منظومة متكاملة ، بحيث يتم من خلالها إدراك العلاقات الخفية للمصطلح والوصف الدقيق لوظيفته ، سواء ما كان من هذه المصطلحات تراثية صنعته العقلية العربية الجماعية ، أم ما احتاجه القاموس المصطلحي لاستدراكه لإكمال هذه المنظومة حتى وإن قدمت هيكلاً غير مكتمل في انتظار اللاحق من المصطلحات المستدركة لجوانب الفراغ .[١]

ولا يظنن ظان أن ذلك أمر منوط بعلم اللغة والمنطق وحدهما ، بل لابد لدارسى الأدب أن يقوموا بهذا الجهد ، لأنهم المنوطون بوضع مصطلحاتهم من خلال التفاعل مع اللغة ودلالاتها والمنطق وضبطه .

(١) مصطلح الدرس الأدبي . مقال / محمد العربي ص ١ بتصرف مجلة " فكر ونقد " مجلة ثقافية فكرية ، رئيس التحرير : محمد عابد الجابري ، صدرت أول مرة في سبتمبر ١٩٩٧ عدد ٢٠ . ص١

المبحث الأول

﴿ الأدب وإشكالية المصطلح ﴾

لعل الناظر لأول وهلة لأطروحة " الأدب وإشكالية المصطلح " يشعر بشيء من الغرابة والدهشة ، فالأدب ظاهرة فنية معروفة لها جذورها التاريخية والحضارية فهل لا زال في حاجة لتحديد مفهومه الاصطلاحي بعد؟ .

وتزول غرابة هذا السؤال حين يقف السائل أمام التعريفات التى حاولت أن تقدم مفهومًا للأدب يكون واضحًا ومحدد المعالم ، وأن تعرفه تعريفًا مانعًا جامعًا كما تقتضي المنهجية العلمية ، ولكن هذه المحاولات جميعًا اشتركت فى عناصر واختلفت في أخرى ، وعبرت عن مستويات مختلفة من الفهم لمصطلح الأدب ، وهو اختلاف موجود منذ محاولة الشروع في تحديد المفهوم الاصطلاحي للأدب في الفكر العربي القديم ، وحتى يومنا هذا ، بل إن الأمر لم يقف عند فكرنا العربي وحده بل وجدنا مثيلاً لهذه الاختلافات في الفكر الغربي قديمه وحديثه .

وهذا ما يجعلنا نتساءل معًا عن سر الاختلاف ومرجعه ، وهل هو راجع إلى طبيعة الأدب ؟ أم إلى اختلاف الأذواق والأعراف والثقافات والأيديولوجيات ، أم إلى تغير الأفكار ؟ .

وينبغي لنا للبحث عن سر هذا الاختلاف ، أن نقف عند لفظة (أدب) في مسيرة تطورها الدلالي ، ثم تطور مفهومها الاصطلاحي ، فإذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة لنتعرف على دلالات الكلمة ، واستخداماتها ، سوف نجد أن المادة قد دارت حول معاني متعددة ، منها : " الدعوة إلى الطعام " يقول صاحب القاموس : " الأدب والمأدبة بالضم ، والمأدبة بالفتح طعام صنع لدعوة أو عرس"[١] .

(١) القاموس المحيط الفيروزابادي / دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ج١ مادة (أدب) ص١٠.

وجاء في المعجم الوسيط : " وأدب القوم دعاهم إلى مأدبته " [١] وأورد صاحب اللسان أنه : " قيل للصنيع يدعي إلى الناس مدعاة ومأدبة" .[٢]

" والأدب : الداعي إلى الطعام ، يقول طرفة [٣]:

نَحنُ في المَشتاةِ نَدعو الجَفَلى ∴ لا تَرى الآدِبَ فينا يَنتَقِر

والمأدبة التي قد صنع لها الصنيع ، قال عدي[٤]:

زَجَلٌ عَجزُهُ يُجاوِبُهُ دُف ∴ لِخُونٍ مَأدوبَةٍ وَزَميرُ[٥]

وقريب منه ما وجدناه في التاج والجمهرة ومقاييس اللغة . [٦]

---

(١) المعجم الوسيط / مرجع سابق / ج١ مادة (أدب) ص٩.

(٢) لسان العرب . جمال الدين بن منظور / المجلد الأول / دار صادر بيروت ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م مادة " أدب " ص ٢٠٦ . ٢٠٧ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد / المحقق: مهدي محمد ناصر الدين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ج١ ص٤٣ .

(٤) عدي بن زيد العبادى ، من فحول الشعراء الجاهليين ، وهو : عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العِبادي، ينتهي نسبه إلى بني تميم ، راجع ترجمته فى الأعلام / الزركلى / ج٤ ص٢٢٠ (٢) خزانة الأدب للبغدادي ١: ١٨٤ - ١٨٦ والأغاني، طبعة دار الكتب ٢: ٩٧ . والشعر والشعراء ٦٣ وغيرها

(٥) من قصيدة مطلعها :

أرواح مودع أم بكور ∴ لك فاعلم لأى حال تصير

ديوان عدي بن زيد العبادي / حققه وجمعه : محمد جبار المعيبد / منشورات وزارة الثقافة والارشاد _ مديرية الثقافة العامة ، بغداد _ ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ٨٤ وما بعدها.

(٦) لمزيد من التفصيل / تاج العروس / مرجع سابق /ج٢ ص ١٢ / جمهرة اللغة / أبو بكر بن دريد / دار الكتب العلمية-بيروت -لبنان / الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م . ج٣ ص ٣٦٦/ مقاييس اللغة / حمد بن فارس بن زكريا (ت) عبدالسلام هارون (ط١) دار الجيل ج١ ص ٧٤ .

ومن معانيها كذلك " التهذيب والتربية " يقول ابن منظور : " الأدب : الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح ... ويقال للبعير إذا ربض ، وذلك : أديب مؤدب ، وقال مزاحم العقيلي :

فهنّ يُصَرّفنَ النوى بين عالجٍ ∴ ونجرانَ تصريفَ الأديبِ المذلل[١]

وفي المعجم الوسيط " أدب فلانًا : راضه على محاسن الأخلاق والعادات ، وأدبه دعاه إلى المحامد ، وأدب فلان ـ أدبًا : راض نفسه على المحاسن ، وأدبه : راضه على محاسن الأخلاق " . [٢]

ومن معانيها كذلك " التهذيب والتعليم " جاء في المعجم الوسيط " الأدب : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي ... المؤدب : لقب كان يلقب به من يختار لتربية الثاني وتعليمه " [٣] ، وفي القاموس " أدبه : علمه" .[٤]

ومن المعاني التي وردت فيها استخدام الكلمة " الأدب " الظرف وحسن التناول[٥] التناول[٥] .

ويقال : " جاش أدب البحر ، وهو كثرة مائه [٦] ، والأدبُ بالسكون " العجب العجب ، عن الأصمعي : جاء فلان بأمر أدب ـ مجزوم الدال أي بأمر عجيب ، وأنشد :

---

(١) لسان العرب ـ مرجع سابق ـ مادة (أدب) ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(٢) المعجم الوسيط ـ مرجع سابق ـ المجلد الأول مادة " أدب " ص ٩ ـ ١٠ .
(٣) المعجم الوسيط ـ مرجع سابق ـ المجلد الأول ص ٩ ، ١٠ .
(٤) القاموس المحيط ـ مرجع سابق ج١ مادة أدب ص ٣٧ ،
(٥) المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٦) اللسان مرجع سابق مادة أدب .

سَمِعتَ مِن صَلاصِلِ الأَشكالِ ∴ أدْبًا على لبَاتِهَّا الغَوالي[١]

ورواه صاحب القاموس بالفتح فقال : " " الأدب " بالفتح " العجب" كالأدبة بالضم " . [٢]

وتعددت مدلولات الكلمة واستعمالاتها في العصور المتأخرة من استخداماتها الحديثة " الأداب العامة : العرف المقرر المرضي ، وأداب البحث والمناظرة ، قواعد تبين وتنظم كيفية المناظرة وشرائطها ، وقيمة أدبية : تقرير معنوي غير مادي ، ومنه مركز أدبي وشجاعة أدبية وكسب أدبي... إلخ " . [٣]

على أن الذي يعنينا في هذا الإطار هو استخدام المادة استخدامًا اصطلاحيًا على نحو ما ورد في المعجم الوسيط " أدب حذق فنون الأدب ... وأدبه لقنه فنون الأدب والأدب الجميل من النظم والنثر ، وكل ما انتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة " [٤] .

وهكذا تعددت استخدامات المادة ودارت حول معاني عدة منها ما يتعلق بالأدب ، وأمر طبعي أن تتعدد استخدامات المادة ، وأن يتطور مدلولها ، ولكننا ليس بين أيدينا معجم تاريخي يحدد لنا تطور استخدام المادة في إطار الدلالة الاصطلاحية التي نبحث عنها ، وكنا ننتظر من الكتب التي عنيت بالمصطلحات أن تحد تحديدًا واضحًا لمدلول الكلمة في مثل كتاب " الزينة في المصطلحات الإسلامية والعربية " ولكن لم نظفر في مثل هذا الكتاب بغير ما ورد في كتب المعاجم اللغوية

(١) اللسان مرجع سابق مادة أدب .
(٢) القاموس ـ مرجع سابق مادة أدب ص ٣٧ .
(٣) المعجم الوسيط ـ مرجع سابق ـ مادة أدب .
(٤) المعجم الوسيط ـ مرجع سابق ـ مادة أدب.

، من وقوف عند الدلالات المعنوية للفظة الأدب فهو لا يعدو أن يكون " الدعاء ، والأدب الذاتي ، وأدبه معناه : دعاه ، وأدبه معناه أعاد عليه القول بالدعاء إلى الرياضة والتعليم ، والولد مؤدب أي مدعو إلى الرياضة مرة بعد مرة " . (١)

وهكذا فإن الباحث لا يجد بغيته في المعاجم اللغوية ، أو الكتب التي اهتمت بالدلالات الاصطلاحية ، ولا نجد الأدب فيها إلا مادة تعددت معانيها بحسب استعمالها وسياق استخدامها ، ومن هنا فلا سبيل لنا لتحديد مفهوم الكلمة تحديدًا اصطلاحيًا إلا بتتبع الدلالة الخاصة لها في سياقها التاريخي من خلال المفهوم الذي نعنيه في حقل دراستنا معتمدين في ذلك على النصوص الواردة في إطار هذا المفهوم .

ونحن في سبيل ذلك نحزم أمتعتنا مسافرين إلى العصر الجاهلي فلا نجد للكلمة استخدامًا قريبًا من المدلول الاصطلاحي فيما تحصلنا عليه من نصوص ، وما جاء من نصوص العصر الجاهلي يحصرها في إطار "الدعوة إلى الطعام " على نحو ما جاء في قول طرفة الذي سبق أن أوردته المعاجم ، وقول عدي وقد ذكرناهما فيما سبق (٢) أو في إطار التهذيب والتربية على نحو ما نفهمه من النصوص التالية .

(١) المصطلحات الإسلامية العربية للشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي تحقيق د/حسين الحمداني مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٥٦ .

(٢) ص١٩ من هذا البحث .

وصف أبو سفيان بن حرب ؛ عتبة بن ربيعة حين جاء خاطبًا لابنته هند يقول : " ... بدر أرومته ، وعز عشيرته ، يؤدب أهله ولا يؤدبونه " وفي رد هند على أبيها بعد أن وصف لها أبا سفيان ، تقول : " إني سأخذه بأدب البعل"[١] .

ويعدد " كعب بن سعد الغنوي[٢] " مناقب أخيه في رثائه له فيقول :

حَبيبٌ إِلى الزُوّارِ غِشيَانُ بَيتِهِ ∴ جَميلُ المُحَيّا شَبَّ وَهوَ أَديبُ[٣]

وفي إطار المدلول ذاته يأتي قول " الأعشى " [٤] ميمون بن قيس لممدوحه ، يقول [٥]:

جَرَوا عَلى أَدَبٍ مِنّي بِلا نَزَقٍ ∴ وَلا إِذا شَمَّرَت حَربٌ بِأَغمارِ

(١) االلآلي في شرح أمالي القالي : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى تحقيق : عبد العزيز الميمني : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان . الطبعة : الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م جـ١ ص ٥٤٢،

(٢) شاعر جاهلي من شعراء ذي قار ، قتل أخوه في يوم ذي قار ، فرثاه بقصيدة منها هذا البيت صنفه ابن سلام في طبقة شعراء المراثي . الطبقات ٢٠٤/١ . الأعلام / خير الدين الزركلي ج٥ دار العلم للملايين يوليو ١٩٨٩ ص ٢٧٧ .

(٣) البيان والتبيين مصدر سابق،ج١ص١٥٢ . ، الأصمعيات / الأصمعي ، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م ج١ ص ١٥ .

(٤) شاعر جاهلي معروف . طبقات فحول الشعراء مرجع سابق ٦٥/١ ، الأعلام . مرجع سابق ٣٤١/٧ .

(٥) ديوان الأعشى /ميمون بن قيس / شرح وتعليق :د م محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية ، ص ٢٣١ .

ومن ذلك كذلك قول النعمان [١] بن المنذر في كتابه إلى كسرى " قد أوفدت إليك ـ أيها الملك ؛ رهطًا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وآدابهم "[٢]، وقول علقمة بن علاثة [٣] في وصف قومه : " وكلهم إلى الفضل منسوب ، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف [٤]" .

وهكذا نجد أن المادة ومشتقاتها لم تستعمل في الجاهلية بالمعنى الذي نريد أو قريب منه ، صحيح أننا لا نستطيع أن نقطع بذلك لأن كثيرًا من التراث الجاهلي قد انقطعت صلتنا به ، لكن حكمنا يندرج على ما وقعت عليه أيدينا من نصوص .

فإذا ما انتقلنا إلى عصر صدر الإسلام ، نجد أن المادة لم ترد في القرآن الكريم ، وقد وردت هي ومشتقاتها في الحديث النبوي الشريف ، وكذا في أقوال الصحابة والتابعين .

على أن النصوص الوارد في حديث رسول الله ﷺ للمادة ومشتقاتها ـ مع عدم ارتياحنا لنسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم ـ لا تتعدى مفهوم الأدب بمعنى التهذيب والتربية ، وقد أحصينا من خلال المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ثمانية عشر موضعًا وردت فيها المادة ومشتقاتها في إطار المعنى المشار إليه ، من ذلك قوله ﷺ " حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَامِرُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ الخَزَّازُ،

(١) من ملوك العرب في الجاهلية . الأعلام ـ مرجع سابق ٤٣/٨ .

(٢) العقد الفريد / ابن عبد ربه ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ج١ص٢٨٠ ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ا: أحمد زكي صفوت/الناشر: المكتبة العلمية بيروت–لبنان ج١ ص٥٥ .

(٣) شاعر مخضرم ولاه عمر ـ رضي الله عنه ـ على حوران ، وتوفى بها سنة ٢١هـ . الأعلام ـ مرجع سابق ٢٣٧/٤ ، ٢٤٨ .

(٤) العقد الفريد / مرجع سابق ، ج١ص٢٨٤ .

قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ. (١) وقوله ﷺ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ» (٢) ، وقوله ﷺ " أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم " (٣) ، قَالَ مُجَاهِدٌ قُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْصُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدِّبُوهُمْ وَصَلَهُ الْفِرْيَابِيُّ من طَرِيق بن أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ بِلَفْظِ أَوْصُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهَ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَانْهَوْهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وقوله ﷺ كذلك فيما جاء فى حديث : عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ، صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنْبِلَهُ. وَارْمُوا، وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا. لَيْسَ مِنَ اللَّهْوِ إِلَّا ثَلَاثٌ: تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ

(١) الجامع الكبير – سنن الترمذي ، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، المحقق: بشار عواد معروف ، ج ٣ ص٤٠٢/الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ، سنة النشر: ١٩٩٨ م وقال عنه حديث مرسل . نحله أعطاه، النحلة أو النحل، النحل العطاء، نحله ينحله نحلا، أي: أعطاه عطاء قال تعالى (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) أعطوهن صدقاتهن .

(٢) سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي ، كتاب الأدب ج٢ ص١٢١١، ذكره مرفوعا .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة . بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٦٥٩/٨ / ج٨ ص٦٦٠ .

وَنَبْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا «، أَوْ قَالَ» كَفَرَهَا " [١] ، وقوله ﷺ : " لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ. "[٢] ، وفي إطار المعنى ذاته قوله ﷺ : " إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران "[٣] وكذلك ما ورد في رده ﷺ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ حين عجب على من فصاحة الرسول ﷺ فقال ﷺ : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " [٤] وهذه الأمثلة المذكورة وغيرها من المشار إليها لم تتعد مفهوم التهذيب والتربية والتثقيف .

ونجد في النصوص الواردة عن الصحابة والتابعين استخدام كلمة "أدب " ومشتقاتها استخدامًا يجمع بين التهذيب والتثقيف وبين الأدب في مفهومه العام الواسع ، ففي نهج البلاغة جاء على لسان الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ : الآداب

(١) سنن أبي داود / المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت/ج٣ ص١٣ ١٩ ، مسند أحمد ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ج٢٨ص٥٧١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ .

(٢) سنن الترمذي ، مصدر سابق ، وقال عنه هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ج٣ ص٤٠١ ، مسند أحمد/ مصدر سابق / ج ٣٤ ص٤٥٩ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري / مصدر سابق /" ج١ ص١٩٠.

(٤) جاء بعد' روايات ، ذكرها العسكري في كتابه " الأمثال " والسرقسطى في كتابه "الدلائل " والسيوطي في كتابه " الجامع الصغير " وابن السمعاني في " أدب الإملاء ،" وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان. ولا مشاحة فى معنى الحديث غير أن هذه الصيغة بلفظها؛ لم ترد عن النبي ﷺ بطريق صحيح عند أكثر علماء الحديث. فرواية أبي نعيم عن عمر إسنادها ضعيف ورواية العسكرى عن على سندها ضعيف جدا كما يقول السخاوى، ورواية السرقسطى عن أبي بكر سندها واه شديد الضعف ، وقال المناوي في فيض القدير على الجامع الصغير للسيوطي : إن ابن حجر حكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه. وقال ابن تيمية : لا يعرف له سند ثابت. وقد وضح ذلك كله القسطلانى فى " المواهب اللدنية" وشرحه للزرقاني عند الكلام على فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم.

حلل مجددة " [١]وقوله : " لا ميراث كالأدب " [٢] ، وقوله : " ذك قلبك ، بالأدب كما تذكى النار الحطب " [٣].

وروى ابن رشيق أن أعرابيًا جاء يسأل عليًا وقد أنشده شعرًا فكساه . رضي الله عنه . حلة وأعطاه خمسين دينارًا ، وقال له : " أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك " [٤] ، ومن ذلك قول معاوية ابن أبى سفيان . رضي الله عنه . : " اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم " [٥]. وهكذا ظل مدلول الكلمة في عصر صدر الإسلام يجمع بين التهذيب والتثقيف والتربية ، ومكارم الأخلاق ، وبين الأدب في مفهومه العام الشامل .

وفي العصر الأموي ظل إطلاق الأدب على مكارم الأخلاق ساريًا وإن كنا قد وجدنا أكثرية النصوص تعني بالأدب على أنه اكتساب المعارف ، ورواية الآثار الأدبية وما يتصل بها من علوم وأخبار ، كما أطلق على طائفة من المعلمين في هذا العصر اسم " المؤدبون " [٦] .

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / المحقق : محمد أبو الفضل ابراهيم ص الناشر : دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج٣ ص٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ١٨ – الصفحة ١٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ٢٠ – الصفحة ٢٧١.

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه / ابن رشيق القيروانى/تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م ج١/ ص٢٩ .

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه / المصدر السابق ، ج١/ص٢٩ .

(٦) طرف من أخبارهم في البيان والتبيين : الجاحظ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ٢/٧٣ . ٧٤ ، ١/ ٢٥٠ : ٢٥٢ ، ورسالة (المؤدبون والمعلمون في الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي) رسالة جامعية / م.م . كريم ماهود مناتي. . كلية الآداب / الجامعة المستنصرية. /العراق .

وباستعراض النصوص المنسوبة إلى العصر الأموي نتأكد من صحة حكمنا السابق ، يروى صاحب العقد الفريد أنه : " أذن للأحنف بن قيس ثم لمحمد ابن الأشعث ، فتقدم محمد قبله ، فقال معاوية : والله أأذنت له قبلك ، وأنا أريد أن تدخل قبله ... وأنا كما نملك أموركم نملك أدابكم " [١]. قد عقد الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما بابين أسموهما " الأدب" ،" الآداب" ، وإذا ما تصفحنا ، أحاديثهما ، وما يدور حوله من مضمون ، نجده مما يدخل في باب " مكارم الأخلاق " [٢] .

وهكذا ظل المفهوم التربوي والأخلاقي ملتصقًا بالأدب لم تنقطع صلته في الدلالة عليه كما رأينا من خلال ما عرضناه ، وإن كان الأدب في مفهومه العام بما يعنيه في استعمالهم من تحصيل المعارف ، وحفظ الأشعار ، ورواية الآثار ، قد صار له مكانه البارز ، فمن الأقوال الواردة في هذا الشأن قول معاوية ابن أبي سفيان لمؤدب ولده " أدبهم برواية شعر الأعشى "[٣] ، ويقول شبيب بن شيبة " اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل ، وصاحب في الغربة ،

(١) العقد الفريد / مصدر سابق/ ج١/ص٦٥ ، وقد جمع أقوالاً كثيرة حول الأدب ، فى : باب في آداب الحكماء والعلماء ج٢ص ٢٥٨ ، وما بعدها .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري . مرجع سابق . ٤٣١/١٠ وما بعدها . ، شرح النووي لصحيح مسلم المسمى بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م ، ١١٢/١٤ .

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م ، ج١ ص١٧٦

وصلة في المجلس "[١] ، وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : " عليكم بالأدب ، فإن احتجتم إليه كان لكم مالاً ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا "[٢].

ويجمع عتبة بن أبي سفيان [٣] في وصيته لمؤدب ولده " عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني [٤] ، بين الأدب بمعنى التهذيب والأدب بمعنى التثقيف يقول : " علمهم كتاب الله ... ثم روهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء ... وزد في تأديبهم أزدك في بري إن شاء الله "[٥].

وصار المعلم مؤدبًا ، يقول عبد الأعلى الشيباني : " رأيت الطرماح مؤدبًا بالري .. ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده وكأنهم جالسوا العلماء " [٦] ، وهكذا ظل إطلاق الأدب في هذا العصر يسري على مكارم الأخلاق ، كما يعني التعليم

(١) شبيب بن شيبة : من الخطباء العلماء الأبيناء، الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة: البيان والتبيين / مصدر سابق ج١ ص٢٤٨، العقد الفريد/ مصدر سابق ج٢/٢٥٩ مع اختلاف يسير في رواية كل منهما .

(٢) العقد الفريد / المصدر السابق / ج٢ص٢٥٩.

(٣) أخو معاوية بن أبي سفيان ، ولى مصر ومات بها . الأعلام . مرجع سابق ٤/ ٢٠٠ .

(٤) " عبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة ، أبو وهب ويقال: أبو بكر الشيباني وكان يتهم بالزندقة وهو أخو عبد الله ابن عبد الأعلى الشيباني وكان يؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويقال أنه هو الذي أفسده

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور الأنصاري /المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا / الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م/ ج١٥ص١٢٢.

(٥) البيان والتبيين مصدر سابق ٤٨/٢.

(٦) البيان والتبيين ، ص ٢٢٠ .

والتثقيف الذي صار له في العصر الأموي دوره وأهميته ، وإن ضعفت صلته بالمعاني الأخرى للأدب ولكنها لم تنقطع .

ومنذ أواخر العصر الأموي وبدء مرحلة التأليف ، ونشاط حركة التدوين بدأنا نرى كلمة أدب ، مسبوقة بكلمة " علم " ومصاحبة لها ، ومع هذا فقد ظل المصطلح غير محدد الدلالة ، فتارة يطلق ويراد منه الرواية والاستشهاد ، يقول : ابن عبد الله بن عباس: " كفاك من علم الدين ؛ أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل "[١] ، وتارة يطلق "الأدب" ويراد منه علوم العربية قاطبة يفهم ذلك مما جاء في عبارة "الجواليقي" : " والأدب الذي كانت تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم مثل ترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء قال الغنوي.

كأنه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم. واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب أديباً ، ويسمون هذه العلوم الآدب ، وذلك كلام مولد لأن هذه العلوم حدثت في الإسلام. " [٢] ، وقد أكثر الجاحظ من استخدام كلمة " أدب " ومع هذا ظل اللفظ يطلق فيراد منه أدب الخلق وأدب الرواية ، يقول الجاحظ : " الأدب : أدبان أدب خلق ، وأدب رواية ، ولا تكتمل أمور الأدب إلا بها " [٣]. ، وابن المقفع يصنع كتابيه " الأدب

(١) العقد الفريد / مصدر سابق ج٢ص٧٨ .

(٢) شرح أدب الكاتب لابن قتيبة /المؤلف: أبو منصور ابن الجواليقى (المتوفى: ٥٤٠هـ) قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي /الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ص٩١.

(٣) رسالة في المودة ـ مجلة المورد ـ ٤٠٧ سنة ١٩٧٨ ص ١٨٨

الصغير . الأدب الكبير " [١] دون أن يقصد معنى الأدب في مفهومه العام ، وإنما قصد الآداب الخلقية والتربوية .

غير أن مفهوم الأدب بدأ منذ القرن الثالث تقريبًا يأخذ قدرًا من التحديد بالإضافة إلى الدلالات الأخرى التي يفصل فيها السياق ، ويبدو أنه مذ صار الأدب حرفة ، صار إطلاق أهل الأدب على المشتغلين بها مصطلحًا يشيع على الألسنة ، يقول الأصمعي : " سألني أعرابي ، ما حرفتك ؟ قلت: الأدب " [٢] .

ويقول الجاحظ : " اتبعت خادمًا فمر به خادم من معارفه من خدم الملوك ... فقال له : إن الأديب ، وإن لم يكن ملكًا فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك " [٣] .

ومن هنا اتسع مفهوم " الأدب " فصار ما يؤدي إلى التكوين الثقافي للعلم من تحصيل المعارف ، ورواية المأثور من الشعر والنثر ومما هو ضروري لهذه الصناعة ، ثم اتسع باتساع معطيات العصر ، وبازدياد الحاجة إلى كافة المعارف والخبرات ، ومن هنا صار الأدب هو " فن الأخذ من كل فن بطرف" ولذا رأينا ابن قتيبة يريد من الأدب هذا المفهوم الواسع ومن ثم كانت كتبه مخصصة لمغفل التأديب على حد تعبيره لأني كنت تكلفت لمغفل التأديب كتبًا ... وهذه عيون الأحبار نظمتها لمغفل التأديب تبصرة ، وهي لقاح عقول العلماء ، وحلية الأدب والمتخير

(١) الأدب الصغير / تحقيق أحمد زكى باشا ط١ ١٣٢٩هـ، ١٩١١م ، الأدب الكبير / تحقيق أحمد زكى باشا ط١ بدون تاريخ

(٢) معجم الأدباء معجم الأدباء / ياقوت الحموي تحقيق: إحسان عباس : دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، ج١ ص٢٢ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ / مصدر سابق . ج٢ ، ص ٢٢٥ .

من كلام البلغاء وفطن الشعراء "[١] ولعل مقولته الشهيرة " .. من أراد أن يكون عالمًا فليلزم فنًا واحدًا ، ومن أراد أن يكون أديبًا فليتسع في العلوم " [٢] لخير دليل على تلك الرؤية ولعله مما مكن لإطلاق الأدب بهذا المفهوم العام الشامل ، أن مصطلح الأديب كان يطلق ويراد منه الجمع بين مختلف الأنشطة العقلية ، دون أن يختص به منشؤ الأدب ، فممارسة الكتابة الأدبية كان اللفظ اللصيق بصاحبها هو لفظ " كاتب " ومن ينشئ الأشعار ويزجي القوافي ، ويقرض القريض فاللفظ الذي يصاحبه هو لفظ شاعر ، والذي يلهب الحماس ، ويستثير الجماهير ، فهو خطيب ... وهكذا .

أما لفظ أديب فهو أكثر اتساعًا وأكثر إطلاقًا على الجامعين بين الرواية والكتابة والتحصيل الثقافي والأدبي ، وصار هؤلاء يطلق عليهم " أهل الأدب " يحدث سالم الكاتب ت ١٢٦هـ أن مولاه مسلمة بن عبد الملك بن مروان ت ١٢٠هـ كان " إذا أدخل غلة ضياعه ، جعلها أثلاثًا ، فثلثًا لنفقته ، وثلثًا للنوائب والحقوق وثلثا يصرفه على أهل الأدب.. [٣] ".

وهذه العمومية في الإطلاق هي التي حدت بمصطلح أدب أن يتسع ويشمل سائر فنون المعرفة والثقافة حتى البعيدة منها عن علوم العربية ؛ " فالحصري

(١) عيون الأخبار/ عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ / ج١ص٤٣ .

(٢) العقد الفريد / مصدر سابق / ج٢ص٧٨

(٣) المصون في الأدب المؤلف: ابن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مطبعة حكومة الكويت الطبعة: الثانية، ١٩٨٤ م/ ج١ص١٨٤

القيرواني ، نجده قد جعل الشعر والنثر والنقد والأخبار والأيام والطرائف والنوادر ... الخ " من الأدب . [١]

فإذا ما انتقلنا خطوة إلى الزمخشرى نراه يجعل علم الأدب ، اثنا عشر علما[٢] ، وعرفه أبو البقاء فى كلياته بقوله : (هُوَ علم يحْتَرز بِهِ عَن الْخلَل فِي كَلَام الْعَرَب لفظا أَو كِتَابَة، أُصُوله: اللُّغَة، وَالصرْف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، وَالْبَيَان، وَالْعرُوض، والقافية. وفروعه: الْخط، وقرض الشّعْر، والإنشاء، والمحاضرات وَمِنْهَا التواريخ، والبديع ذيل للمعاني وَالْبَيَان)[٣]، ويذكر الجرجانى فى تعريفاته بأنه أى علم الأدب : عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ [٤].وفى أبجد العلوم للقنوجي هو علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظا وخطا[٥] ، وجعله

(١) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، تحقيق ذكي مبارك القاهرة ١٠٥٣م .

(٢) القسطاس في علم العروض: الزمخشري ، المحقق: الدكتور فخر الدين قباوة الناشر: مكتبة المعارف بيروت – لبنان الطبعة: الثانية المجددة، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م ، مقدمة كتابه ص١٥

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، ص٦٨

(٤) كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص١٥

(٥) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، المؤلف : صديق بن حسن القنوجي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٧٨م ، تحقيق : عبد الجبار زكار، ج٢ص٤٤

صاحب صبح الأعشى عشرة علوم[١] ، وجعل إخوان الصفا " علم الآداب يتناول العلوم الرياضية وهي التي تقابل عندهم العلوم الشرعية والفلسفية ، وجعلوا الرياضة هي تلك التي وضع أكثرها لطلب المعاش ، وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أنواع [٢]: أولها علم الكتابة والقراءة ، ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ، ومنها علم الشعر والعروض ، ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله ، ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء وما يشاكلها ، ومنها علم الحرف والصنائع ، ومنها علم البيع والشراء والتجارات أو الحرث والنسل ، ومنها علم السير والأخبار ، أرأيت إلى أي حد يضيق المفهوم ويتسع .

وإذا كنا قد لاحظنا ذلك فيما أوردنا من نصوص سلفت ، فإن هناك من الكتب التي تمحضت للأدب في معناه الخاص من مثل كتاب الكامل للمبرد : "هذا الكتاب ألفناه يجمع ضروبًا من الآداب مابين كلام منثور وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار خطبة شريفة ، ورسالة بليغة " [٣] .

وظلت هناك مصطلحات تنافس الأدب في الإطلاق على دلالته الخاصة ، كالعبارة والإنشاء والبيان والصناعة إلى غير ذلك مما يدلنا على أن لفظة أدب لم تختص بالإبداع الأدبي وحدها فضلاً عن أنها ظلت تدل على عدة معان أخرى من

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤلف : أحمد بن علي القلقشندي ، الناشر : دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، تحقيق : د.يوسف علي طويل ، ج١ص٥٣٨

(٢) تفاصيل ذلك فى الفصل الثالث من كتاب : الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا ، تأليف: منال إسماعيل عجوب ، الناشر: وزارة الثقافة الهيئة العامّة السورية للكتاب دمشق ٢٠١١

(٣) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢/١ نشر مؤوسسة المعارف بيروت . بدون تاريخ .

مثل " التهذيب ، حسن الخلق ، واكتساب المعارف ، وفي الوقت الذي نكاد نعترف فيه لابن خلدون بقربه من تحديد هذا الفن ، إذ به يخلط خلطا يعود به إلى ما عرفناه ، في سابق سردنا لمسيرة المصطلح يقول : " هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون من كلام العرب عساه تحصل له الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة ، يستقرئ منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض أيام العرب ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة ، والأخبار العامة والمقصود بذلك صلته ألا يخفي على الناظر فيه بشيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمها ، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ، ثم إنهم إذا أرادوا حدَّ هذا الفن ، قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب ، وأحبارهم ، والأخذ من كل فن بطرف ... " [١].

ولأن الأدب هو الثقافة والمعرفة ، فقد أُلف لكل فن من فنون المعرفة ما يعين شداته على تعلم أصول صناعتهم وصقلها ، وتحصيل الثقافة اللازمة لها وتنميتها ، وسمي ذلك أدبًا فوجدنا مؤلفات تحمل عنوان أدب القاضي ، وأدب النديم ، وأدب الكاتب ... الخ [٢] ، وهكذا رجعنا إلى الاصطلاح مرة أخرى بدلاً من تحديد مفهومه .

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون ، المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ج١ص٧٦٣ .

(٢) ينظر في ذلك فهارس العلوم مثل مفتاح العلوم ، وكشف الظنون وغيرها .

وإذا انتقلنا للعصر الحديث ، وجدنا الصعوبة في تحديد المصطلح لا زالت قائمة ، وإليك جملة تعريفات لكتاب ونقاد العصر الحديث تتفق في أشياء وتختلف أو تختزل أخرى ، فالشايب يراه " التعبير عن الأفكار أو تصوير الشعور؛ أو تأليف المسائل والآراء العلمية إذا كان الفن الكلامي الذي يؤدي ما في النفوس من تراث العقول ونوازع الانفعال والميول،"[١] ، وأما سيد قطب فيراه " التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية " [٢] وهو عند عز الدين إسماعيل : "الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة"[٣]. وهو يصل إلى هذا التعريف بعد مناقشة لأراء الأوربيين فى تعريفاتهم للأدب ، ومن ثم ترى أنه غير خاف أثر الرؤية الغربية للأدب في تعريفه ، وهذا ليس بجديد فمندور يعلنها صراحة وهو يعرف الأدب تعريفًا أوربيًا يقول : " مجموعة من المؤلفات التى تملك الإثارة الفكرية والعاطفية " . [٤]

وليت الأوروبيين أنفسهم قد استطاعوا أن يتفقوا على تعريف لمصطلح أدب فعلى الرغم من أن الأصل اللاتيني للأدب **Litterature** هو أصل الاشتقاق في معظم اللغات الأوربية ، فقد جرت محاولات متعددة لتعريف الأدب . [٥] فهى في الإنجليزية، والفرنسية توحي بالأدب المكتوب أو المطبوع ، وهى فى الألمانية، و

(١) الأسلوب المؤلف: أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣، ص ١١.

(٢) النقد الأدبي : أصوله ومناهجه / سيد قطب / دار الشروق /الطبعة السادسة١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٩ .

(٣) الأدب وفنونه – دراسة ونقد المؤلف: عز الدين إسماعيل الناشر: دار الفكر العربي ، ص١٣.

(٤) فى الأدب والنقد/ د. محمد مندور/نهضة مصر للطباعة والنشر/الفجالة ، القاهرة ص ٧ .

(٥) مقدمة في نظرية الأدب تأليف نير ايجلتون ترجمة أحمد حسان إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة " كتابات النقد " سبتمبر ١٩٩١م ص ١١ وما بعدها .

الروسية، الأدب الملفوظ [١]؛ وهى وإن ظلت مرتبطة بالمعنى الأصلي تحمل ظلاله ودلالاته ، لكن مع هذا ظل التباين بين هذه الاصطلاحات قائمًا .

فإذا كان الأدب هو " سجل لخير الأفكار " [٢] عند أمرسون Emerson فإنه عند ستيفورد برك Stuverd praic يعني " أفكار الأذكياء ومشاعرهم مكتوبة بأسلوب يلذ القارئ [٣] ويتسع التعريف عند لانسون فيشمل : " كل المؤلفات التي لايدرك معناها وتأثيرها كاملين إلا بالتحليل الفنى لصياغتها .....مما يثير لدى القارىء ؛ بفضل خصائص صياغتها صورًا خيالية ، أو انفعالات شعورية أو إحساسات فنية " [٤] وهو ما ذهب إليه " أوجست بوك " من أنه لا يمكن إطلاق لفظ الأدب بأوسع معانيه على كل ما صاغه الإنسان في قالب

لغوي ليوصله إلى الذاكرة " [٥] .

ويتجه البعض إلى تضييق مفهوم المصطلح ، وهذا ما يؤكده " ويلك داروين " Walk Darwin " ، إن من الأفضل قصر مصطلح الأدب على فن الأدب ، أي الأدب الابتداعي ، وأن تعد من الأدب فقط الأعمال التي تغلب عليها الوظيفة

(١) الأدب وفنونه / عز الدين إسماعيل /مرجع سابق / ص ٩ يتصرف .
(٢) أصول النقد الأدبي . أحمد الشايب ط١٠ سنة ١٩٩٤ مكتبة النهضة المصرية ص ١٧ .
(٣) المرجع السابق نفسه .
(٤) النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور / دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، ص ٣٩٨.
(٥) تاريخ الأدب العربي/كارل بروكلمان / ترجمة عبد الحليم النجار ٤/١ دار المعارف . القاهرة القاهرة ١٩٧٤م /٢٠/١ .

الجمالية ، ويحصر المصطلح " كارل بروكلمان" في الشعر "إن الذي يعد أدبًا عند شعوب الثقافة الحديثة هو ثمار الشعر بأوسع معانيه"(١).

وهذا ما يعترف به نولير على عهده ، بأن لفظ الأدب كان يعد من التعابير المبهمة والشائعة في كل اللغات " شأن كل المفاهيم العامة حيث أن دلالتها الدقيقة لا تتحدد في أي من اللغات إلا بالأشياء التي تمارس عليها".(٢)

ومازالت كلمة أدب تثير الجدل والتساؤلات فى الغرب عند أصحاب نظرية الأدب في العصر الحديث ، يدورون فى محيط نقض التعريفات القديمة فحسب ، دون تقديم مفهوم خاص يبلور رؤيتهم ، ف (رينيه ويليك) لا يعجبه تعريف (إدوين غرينلو) للأدب بأنه : " كل ما يمت إلى تاريخ الحضارة بصلة لا يخرج عن مجالنا " ، فيرى أن دراسة كل ما يتعلق بتاريخ الحضارة يتجاوز نطاقه في واقع الأمر تجاوزًا بعيدًا عن نطاق الدراسات الأدبية ، إذ تسقط كل الفوارق وتحشر في الأدب معايير أجنبية عنه ، وينتج عن ذلك أن الأدب يستقي قيمته فقط بمقدار ما يقدم من نتائج لحقول الدراسة المجاورة له . ويمضى فى تفنيده لذلك بأن مطابقة الأدب مع تاريخ الحضارة إنكار للحقل النوعي والمناهج النوعية للدراسة الأدبية . (٣)

وأما قصر الأدب على المؤلفات العظيمة كما هو الحال فى بعض التوجهات الأوربية فيرى رينيه أن هذه الدراسة للكتب العظيمة مستحبة لأغراض تربوية أما

(١) تاريخ الأدب بروكلمان ـ مرجع سابق ص ٢ .

(٢) نظرية . لغة . أدب مقال د / عبد الملك مرتاض ج١ إصدار نادي جدة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ص ٢٨٩ .

(٣) نظرية الأدب ، رينيه ويليك / أوستن وارين : ترجمة : محي الدين ، ط دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ١٩.

في تاريخ الأدب الابتداعى ؛ فإن الاقتصار على الكتب العظيمة يجعل استمرار التقاليد الأدبية أمرًا غير مفهوم وكذلك تطور الأنواع الأدبية ، ومن ثم طبيعة العملية الأدبية ذاتها . (١)

هناك من يعرف الأدب بأنواعه التي يتضمنها ، وفقًا لهذا التعريف يصبح الأدب هو كل كتابة تنتمي إلى الشعر والرواية والخطبة والمسرحية والقصة القصيرة والترجيديا والحكمة . أما الكتابات الأخرى كالتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم فهي خارج إطار الأدب ، وهذا التعريف الجديد ضيق نطاق الدائرة ليخرج من الأدب ما سوى " الأنواع الأدبية الشعرية والنثرية " هكذا نرى أن مصطلح الأدب لم يتحدد ولم يكن له تعريف متفق عليه بين النقاد في الغرب أو الشرق .

المبحث الثانى

﴿ الأدب الإسلامي وإشكاليات الدلالة ﴾

في إطار البحث عن الذات والهوية ، بعد أن ازداد لهاثنا وراء المذاهب الغربية ، ولم تقف تبعيتنا لهذا الغرب عند حدود ما سبقونا إليه من علوم وتقنيات بل امتدت إلى ما عندهم من مذاهب فكرية وأيديولوجية ؛ بعد أن حاول كثير من مفكري العرب أن يجذروا لهذه الدعوات في التربة العربية ، منبهرين بها أو معتقدين لها ، ولكنها هي الأخرى لم تثبت في منبتها الذي ترعرعت فيه ، وحرثت أفكار .

(١) المرجع السابق ص ٢٠.

واستنبتت أخرى ، ونحن نستقدم كل جديد وغريب نجذر له في تربتنا معتقدين أن في ذلك عاملاً من عوامل التقدم والنبوغ ، وينظر للتراث والفكر القائم عليه بأنه دعوة تخلفية رجعية تأخذ بأيدينا إلى الوراء ، وتجرنا إلى الخلف تاركين لأصحاب هذه الدعوات حصان السبق والتقدم .

ووصل الأمر إلى أن نظرنا إلى تراثنا وفكرنا النابع من إسلامنا على أنه أساس تخلفنا ، وداؤنا العضال الذي ينبغي أن نتخلص منه إن أردنا الشفاء ، وأن نتجرع الصاب والعلقم الوافد لأن فيه الشفاء .

وقد وقفت أقلام مستنيرة تنبه إلى خطورة الهوة التي ننجرف إليها دون سميع أو مطيع ، ولكن وبعد أن وصلت تلك الفلسفات وهذه الأيديولوجيات إلى مرحلة التفريغ ، وبعد أن شب الفكر العربي الحديث عن الطوق بدأ يتحسس ماضيه وتراثه ويتبين مواضع أقدامه ، فكانت الدعوة إلى العودة إلى المنابع في مناحي شتى من نواحي الحياة ، وبدأ التأسيس على أساس الهوية الإسلامية ، وبوصف الإسلام الذي هو ديننا وعقيدتنا لم يترك لنا أمرًا من أمور الحياة إلا وأوضح سبيله وأنار مستغلقه .

وبدأت الحركة التي أسميت " بالأسلمة " لتنشئ قلاع " علم النفس الإسلامي" و " علم الاجتماع الإسلامي " و"علم التربية الإسلامي " ومن ثم الأدب الإسلامي ، ومصطلح الأدب الإسلامي حين أطلق في محيط الدراسات الأدبية لقى موقفين متعارضين بين أنصاره المؤصلين له ، والذين يرون فيه النجاة بالأدب مما آل إليه من خضوعه للمذاهب الوافدة " ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلاً تامًا عن مجرى الأدب العربي منذ عصر الإسلام تحت اسم

جديد وتيار جديد " [١]. كما جرت المحاولة لإخضاع الأدب العربي القديم كما يسمونه إلى مذاهب غريبة كالمذهب التحليلي والمذهب النفسي ، وجرى إخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذاهب ، ومع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك ؛ فقد جرت المحاولات لإحياء شخصيات منكورة لا وزن لها في تاريخ الأدب الحقيقي ، من الصعاليك والزنادقة أمثال أبي نواس وبشار بن برد والضحاك وحماد وغيرهم على أنهم ـ كما ادعى الغربيون ـ يمثلون عصرهم أصدق تمثيل !! وجرى فرض نظريات تين وسانت بيف ، وبرونتير لنقد الأدب العربي وهي نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستمدة من نظرية دارون وما بعدها ، والتي تنظر إلى الإنسان على أنه حيوان وشهوة ومعدة " . [٢]

ولقد كان من أخطر محاولات احتواء العرب والأمة الإسلامية أن فتح المستشرقون عن طريق أتباعهم بابًا واسعًا للإباحيات ، بالبحث في كتب التراث القديمة بما فيها من فحش وهجاء ، وغلو ووصف للعورات وغزل بالمذكر ... وإحياء ما قاله الشعراء العرب الذين تأثروا بمترجمات الفكر اليوناني ، والذين خضعوا لمفاهيم الباطنية ، والمذاهب الإباحية ، ولم يكن ذلك من صميم الأدب العربي الذي شكله القرآن الكريم والسنة في وجهة أخلاقية ، تعلو على التحلل ، وجمعوا إلى ذلك تراجم الأدب اليوناني وغيره .[٣]

(١) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية العدد السابع محرم ١٤١٦ مقال أنور الجندي من أسلمة الأدب العربي إلى إنشاء أدب إسلامي ص ٤ ، ٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤ ، ٥ ..

(٣) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية العدد السابع محرم ١٤١٦ مقال أنور الجندي من أسلمة الأدب العربي إلى إنشاء أدب إسلامي ص ٥ .

" كذلك فإن محاولة الدعوة إلى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعًا أمام هدم أخلاقية الأدب وغلبة المفاهيم التي يسمونها الأدب للأدب والفن للفن وهي مفاهيم ينكرها الفكر الإسلامي تمامًا ويردها ردًا غير جميل ، فهي تحرر الأدب من طابع الأخلاق ، وتدفعه إلى تصوير الغرائز والأهواء من غير ما فيه ، وذلك باسم حرية الأدب " . (١)

" كما انفتح المجال أمام ترجمة القصص الغربية الإباحية والكشف عن جوانب الصراع والعلاقات الشاذة في المجتمع الغربي ، ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والأخلاقية ، والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة والسخرية من الفضائل والجرأة على المقدسات "(٢) . كانت تلك دوافع الدعوة (٣) إلى أسلمة الأدب في محاولة لتخليص الأدب من الشوائب التي لحقت به نتيجة لتخبطه بعيدًا عن مساره الصحيح ، ليحفظوا لأدبنا العربي خصوصيته ، وتتبلور الشخصية الثقافية الإسلامية لمواجهة الغزو الحضاري القادم من جميع الجهات .

أما المعارضين رأوا في الالتزام بالمعايير الإسلامية تقييدا لحرية الأديب وكبح لجماح خياله ، ورأوا في النظرة نظرة تعصبية تدل على ضيق الأفق ، وقصر النظر ولم يجدوا في ذلك ضرورة أو مسوغًا سوى الحجر على الأديب ، ورأوا في

(١) المرجع السابق ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤ ، ٥.

(٣) راجع : "مدخل إلى الأدب الإسلامي""د. نجيب الكيلاني" سلسلة (كتاب الأمة) التي تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، "الإسلامية والمذاهب الأدبية""د. نجيب الكيلاني" مؤسسة الرسالة ، مقدِّمة لنظريَّة الأدب الإسلامى عباس المناصرة/ مؤسسة الرسالة ، دار البشير"، "الأدب الإسلامي، أصوله وسِمَاته" / محمد حسن بريغش/ مؤسسة الرسالة " "، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامى / عماد الدين خليل / دار ابن كثير ، وكتاب " نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد " لعبد الرحمن رأفت الباشا .

النماذج الأدبية العربية التي أنتجت وفق معطيات ثقافية وافدة في العصر العباسي ، وما تلاه من عصور الضعف دليلهم على أن هذه الرؤية لا تتفق مع منهج الإسلام الذي ترك الأديب حرًا طليقًا لا حجر على فكره أو توجهاته .

وهو منطلق بعض المسلمين الذين أصابهم الوهن ، وبعدوا عن الالتزام بالإسلام ، وهم لا يفتأون يرددون عبارات بعينها فيقولون : لماذا تدخلون الإسلام في ظل شيء ؟ وكأن هؤلاء يجهلون . أو يتجاهلون . أن الإسلام كما أراده الله يشمل كل شيء في حياة المسلم بدءًا من العقيدة إلى إماطة الأذى عن الطريق ، والإسلام لم يترك للمسلم أمرًا ذا بال ما لم يبين فيه وجهة الإسلام الصحيحة بيانًا صريحًا واضحًا ، أو لم يرشد إلى الطريقة التي تستنبط فيها هذه الوجهة ، على ما هو معروف في أصول اللغة " . (١)

" منطلق الصراع " الأيدلوجي " العقدي ، الذي تصدر عنه مظنة من لا يؤمنون بالإسلام أصلاً ، وإن كان بعضهم مسلمًا بالهوية والاسم ، وهذه الفئة ترى في الدعوة إلى الأدب الإسلامي والاقتصاد الإسلامي والفكر الإسلامي ثقافة إعادة إلى عصور التخلف ، لأنهم يعدون التمسك بالإسلام سببًا للتخلف والجمود والتأخر ، وهم يرون في الأدب الإسلامي خطرًا يتهدد ما يؤمنون به من مذاهب الأدب الدخيل سواء كان أدب الماركسية الذي انتكس بسقوط الشيوعية أم أدب الوجودية أم أدب الحداثة بمفهومها الفلسفي الشامل المدمر إلى غير ذلك مما نجد له أتباعًا

(١) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية المجلد الثاني العدد الثامن ربيع الثاني ١٤١٦هـ " شبهة المصطلح " د. عبد القدوس صالح ص ٣ ، ٤ .

متحمسين ، يريدون أن يلبسوا أمتهم ما لا يوافق ذوقها وأصالتها ودينها وتراثها " . (١)

بين المفهوم والمصطلح :

تعالوا نتفق على أن الأدب العربي في إطار مسيرته التاريخية تخلى كثيرًا عن الرؤية الإسلامية سواء في القديم أو في الحديث فباستثناء عصر النبوة والخلافة الراشدة ، نفتقد التزام الأدب بمعايير الإسلام ، وبدأت تتسع هذه الدائرة بما تمثل في جرأة على المجاهرة بالزندقة والإلحاد والشعوبية عند بعض الشعراء أو الجهر بالفسق ، والمعاصي والتحبيب إليها في البعض الآخر ؛ حتى دخلت التيارات الوافدة في العصر الحديث وبدأنا نجد أديبًا عربيًا يلتزم الفكر الوجودي ، وآخر ملتزم بالفكر اليساري أو الماركسي ، وثالث يعتنق البوهيمية العزيزية .. الخ ، على أن الأدب العربي لم يخل من أدباء التزموا المعايير الإسلامية سواء في سائر أعمالهم أو في بعضها ، مما جعل دعوة المصلحين تعلو للمجتمع حول ما سمي بالأدب الإسلامي " .

ونحن لا نخطىء هدف التوجه وغرضه الإصلاحي ، ولكن ينبغي ألا ننساق وراء العاطفة فقط ، ونكتفي بالمسمى فذلك له خطورته بل لابد أن نتبين الطريق لنعرف ماذا نريد ؟ .

فإذا انتقلنا إلى مصطلح " الأدب الإسلامي " لا نكاد نجد اتفاقًا مع المناصرين له ، فالأصل في المصطلح أن تتحقق له عناصر التحديد والجمع والمنع والحصر والمواضعة ، ومصطلح الأدب الإسلامي لا يتحقق له ذلك ، فهو يتسع

(١) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية المجلد الثاني العدد الثامن ربيع الثاني ١٤١٦هـ " شبهة المصطلح " د. عبد القدوس صالح ص ٣ ، ٤ .

ليشمل كل آداب المسلمين مما اختلفت لغاتهم عند بعض مناصريه ، ويضيق ليضم الأدب العربي الملتزم للمعايير الإسلامية عند البعض الآخر ، ثم إذا انتقلنا إلى خطوة ثانية من تعريف المصطلح أوقفنا ذلك على عديد من التعريفات كل منها تبين وجهة نظر أصحابها طبقًا للمعيارية التي يضعونها لمفهوم المصطلح .

ذلك أن المفهوم إن أريد بالإسلامية فيه زمان ، كان ذلك هو المتعارف بين الكتابات التي تناولت تاريخ العصور الأدبية وعرف فيها بـ" أدب صدر الإسلام " ، وهى سابقة على المصطلح ، وهذا ما عناه شوقي ضيف في كتابه " العصر الإسلامي "[١] ، وما عناه القط ؛ في كتاب " دراسات في الشعر الإسلامي والأموي " [٢] وعناه محمد خلف الله في كتابه " الأدب الإسلامي "[٣] ، وكذا دراسات في الأدب الإسلامي لسامي مكي العاني . [٤]

وإن أريد بالمصطلح التمذهب بالرؤية الإسلامية أو الأسلمة كما شاع بين الأوساط النقدية ترديدها وجدنا هذا المفهوم كما سبق يتسع فيرى أصحابه أنه "الأدب الذي يلتقي مع تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان سواء صدر عن أديب مسلم ، أو غير مسلم ، وسواء كان ذلك يلتقي مع الحدود الزمانية والمكانية لدين الإسلام ، أم يسبقها زمنًا ويتخطاها مكانًا " . [٥]

(١) العصر الإسلامي /شوقى ضيف/دار المعارف مصر / طبعات متوالية .
(٢) دراسات في الشعر الإسلامي والأموي/عبد القادر القط /دار النهضة العربية
(٣) لجنة الترجمة والتأليف والنشر / القاهرة ١٩٤٧م .
(٤) منشورات المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٥م .
(٥) راجع مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر د/ إبراهيم عوضين مطبعة السعادة ١٩٩٠ .

ومن هنا فدعوة زهير للسلام وحكمه هي من الأدب الإسلامي حتى وإن سبقته زمانًا ، والدعوة إلى القيم والمثل في شعر طاغور هي من الأدب الإسلامي بصرف النظر عن اختلافه مع المعتقد الإسلامي ، وتتمثل حجتهم على ذلك في أن الإسلام هو دين الفطرة الإنسانية . عمومًا . وليس دين الأمة التي عرفت بذلك منذ بعثة محمد ﷺ فحسب ، والأدب الإنساني يقوم على الفطرة السوية ولا يخاصمها . (١)

والأدب بهذا التعريف يعد إطارًا فكريًا فحسب دون النظر إلى المستوى الفني ، أو أننا لو اتفقنا على حد من الجودة الفنية ، فسوف يمثل الإطار الفكري عنصرًا فوقيًا ، وسلطة تحاكم النصوص المعروضة عليها وهي بهذا تميل إلى التقسيم ، فهي لا تمثل الإسلام الإطار أو الرؤية ، وإنما تصبح دعوة كغيرها من الدعوات التي انطلقت تدعو إلى الأدب الإنساني والقيمي ومنه لا يصلح التعريف مانعًا أو محددًا ، ويصير المنهج الاصلاحي منهجًا عامًا وليس منطلقًا من رؤية إسلامية ، وفي هذا كثير من الاضطراب الذي لا يخفى على مدقق ، ويتحول الإبداع الأدبي اتجاهًا بغير صفات فنية .

وأما الرؤية الثانية التي ترى أن الأدب الإسلامي ينطلق من رؤية الإسلام للكون والحياة والإنسان ، ويصدر عن الأديب الملتزم بتصورات الإسلام ومبادئه وتطبيقاته العملية في الأفعال والأقوال ، وهو الاتجاه الذي تبناه أكثرية المنادين بأسلحة الأدب من أمثال نجيب الكيلاني (٢) ، د/ محمد حسن بريغش(١) ،

(١) المرجع السابق ، بالإضافة إلى منهج الفن الإسلامي مجمد قطب ، دار الشئون القاهرة ط٦ سنة ١٩٨٣م .

(٢) راجع : مدخل إلى الأدب الإسلامي / نجيب الكيلانى / كتاب الأمة رقم ١٤ قطر ١٤٠٧هـ .

والدكتور عبد الباسط بدر [٢] ، والدكتور أحمد محمد علي [٣]، وهم بذلك يؤكدون على الصدق الواقعي الذي يتجلي في توافق المنهج الإبداعي مع السلوك الحياتي وهم بهذا يرفضون الأدب وإن حوى مفاهيم إسلامية طالما أن كاتبه لم يكن ملتزمًا سلوكيًا ومنهجيًا ، ومعلوم أنه لا يقدح في صدق تجربة الأديب عدم موافقتها لواقع حياته ، فقد يؤمن الأديب بمعتقد على المستوى الفكري اعتقادًا جازمًا ، ثم هو في سلوكه لا يستطيع إلزام نفسه به ، ويظل معتقده يمثل القيمة المثال الذي يتطلع إليه ، والأدب خير وسيلة لهذه التطلعات وهم بهذا يحرمون الأدب الإسلامي من إبداعات كثيرة مهمة في هذه الدائرة استنادًا إلى الحكم على شخصيات مبدعيها ، ولا شك أن في ذلك حيف وجور يجافي طبيعة الإبداع الفني لأن الصدق الفني لا الواقعي هو الأصل في دراسة الأدب . فما سبيل إلى الخروج من المأزق ؟ .

نحن لا نختلف بأن المنطقة العربية لها خصوصيتها التي يجب أن يعبر عنها أدبها ، وهذه الفرضية ليست قسرًا تخضع له الظاهرة ، ولكنه نسق مطرد للظواهر الموجودة في هذه البيئة وأخصها السمة الإسلامية التي تجمعها ، والتي تمثل عقيدة وتاريخًا وحضارة ، فلا عجب أن يكون لها أدبها " فالحقائق الحضارية والوجود التاريخي يجعلان من ظاهرة الأدب الإسلامي أمرًا مسلمًا به لا يحتاج إلى التساؤل فضلاً عن الاعتراض ، لولا الأهواء البشرية ، والخلفيات السياسية التي تتدخل في التقويم ". [٤]

---

(١) راجع في الأدب الإسلامي المعاصر مكتبة المنار ـ الأردن ١٩٨٥م .

(٢) راجع : مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي دار المنارة للنشر السعودية ١٩٨٥م .

(٣) راجع : الأدب الإسلامي ضرورة ، دار الصحوة القاهرة ١٩٩١م .

(٤) مجلة الأدب الإسلامي / السنة الثالثة العدد ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ الأدب الإسلامي والخروج من المأزق د/ عبد الحميد إبراهيم ص ٨ .

وقد أحس النقاد الذي لا يعارضون فكرة الإسلام ولكن يبحثون لها عن مخرج للمأزق الذي أوقعته فيه الرؤى السابقة ، أحس هؤلاء بضرورة الخروج من هذا المأزق وحاولوه ، فيرى د/ أحمد حنطور للخروج من ذلك أن يراد بالأدب الإسلامي " كل ما صدر من قول فني عن أديب مسلم أو ينتمي إلى الإسلام ، أو تمثل الإسلام في مبادئه حين إنشائه ما دام ملتقيًا في الجميع مع تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان "[١] والتعريف كما نراه وإن حاول أن يجمع بين الرؤيتين في نقطة التقاء ، فهو بتعريفه هذا وإن أخرج شعراء الجاهلية وشعراء الدعوات الإنسانية العامة الذين لا يتمثلون الإسلام حين إنشائهم لإبداعاتهم ، فهو بهذا لا يعد " كل أدب خلقي أدبًا إسلاميًا ، مثل شعراء الحكمة في العصر الجاهلي ، ودعوة سقراط إلى الخير والحق والفضيلة كما أنه يدخل بعض الشعراء الذين ضن مفهوم أهل التضييق عن استيعاب أعمالهم في إطار الأدب الإسلامى مع تمثلهم له في هذه الأعمال"[٢] .

وعلى الرغم من هذه المحاولة إلا أنه ينتابها كغيرها من المحاولات السابقة شيء من القصور إذ تفتح الباب على مصراعيه لكل إبداع صدر عن أديب مسلم بصرف النظر عن لغة هذا الأدب المنشأ وفي هذا نظر .

لأن ذلك يعني الوقوف عند الحدود الفكرية لا الإبداعية ، وتظل لكل لغة خصوصيات تعبيرها ، وبهذا لا نستطيع وضع هذا الأدب إلا في إطاره الفكري فحسب

(١) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية العدد الخامس رجب ١٤١٥ هـ مقال : مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين د / أحمد محمد على حنطور ص ١٨ .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية العدد الخامس رجب ١٤١٥ هـ مقال : مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين د / أحمد محمد على حنطور ص ١٩ .

، وبهذا يتحول الأدب إلى وعاء ناطق بالفكر الإسلامي ، قبل أن يكون عملاً فنيًا له خصوصيته ، وهذا الأدب إن قدم حقائق الإسلام ورؤيته فإنه لا يتناسب مع حقيقة الأدب وطبيعته ، ويجعل المصطلح مفهومًا متسعًا غير محدد المعالم والأدب يختلف عن غيره من العلوم التي لها طبيعتها الفكرية البحتة من مثل الفقه الإسلامي والاقتصاد الإسلامي ، فإن ذلك لا يحوجنا إلى البحث عن لغته وأدوات كتباته وطريقة صوغه ؛ لأن الذي يعنينا منه أولاً وأخيرًا هو المحتوى الفكري ، وصار التعريف بذلك يشترك فيه التجريد والتعميم دون أن يقف عند حدود أو شواطئ .

والمحاولة الثانية جاءت عند الدكتور عبد الحميد إبراهيم في مقالة "الأدب الإسلامي والخروج من المأزق " وفيه يرى أن اهتمام أنصار الأدب الإسلامي بصفة " الإسلامية " أكثر من اهتمامهم بصفة " العربية " يعني غلبة المضمون على بالشكل وأن السياق الأدبي يقتضي أن يكون المصطلح هو الأدب العربي الإسلامي[١] ، وهذا المصطلح قد يفيد على نحو ما وضحه الكاتب في " نقل المسألة برمتها إلى مجال الأدب بعيدًا عن مجال السياسة والفكر " [٢] ، وتلك فيها نظر لأن الأدب لا يعالج بمعزل عنهما ، وهما مؤثران لهما قيمتهما في مجال التعبير الأدبي ، ولكن قد يعني أن نتوجه إلى الصياغة الأدبية متخلصين من مأزق الإطار الفكري الذي سوف ندور في فلكه إذا ما تبنينا الرؤى السابقة ، ثم يقدم تعريفًا جديدًا للأدب الإسلامي حيث " يجعله تعبيرًا عن روح الحضارة العربية الإسلامية في صياغة أدبية"[٣] ، ولا شك أن هذا التعريف سيعين كثيرا على الانطلاق من النص دون الدوران حوله في عملية تفتيش عن نوايا صاحبه أو محاكمته على أشياء هي

(١) مجلة الأدب الإسلامي السنة الثالثة العدد الحادي عشر ربيع الأول ١٤١٧هـ ص ٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣) المثال السابق المرجع السابق ص ٢٤ .

خارج النص [١] على حد تعبير صاحب المقال ، ولكن هل ينطبق هذا التعريف على مصطلح الأدب الإسلامي ، أراه لا ينطبق إلا من خلال المحدودية التي وضعها للاصطلاح وهو " الأدب العربي الإسلامي " وهذا يترتب عليه وجود أدب عربي غير إسلامي ، ونحن بهذا الاصطلاح أوسعنا له المجال وأعطيناه جواز المرور وتصريح الإقامة بين ظهرانينا .

وقبل أن نشرع في بيان وجهة نظرنا ينبغي أن نعرج على رؤية تالية واصطلاح آخر تبناه الدكتور محمد أحمد العزب وهو الأديب المسلم ويرى أن هذا الاصطلاح يحل المعضلة " المأزق " الذي وقع فيه من اصطلح مسمى " الأدب الإسلامي " ويعرض ذلك بقوله : " إن مشكلة الأدب الإسلامي تتلخص في أنه . لرحابة الإسلام وشموله . يدخل فيه ذلك النوع من الأدب الذي يلتقي مع التصور الإسلامي ، وإن كان قائله غير مسلم إذ لا أستطيع أن أقول : إن هذه المقولة ليست إسلامية لمجرد صدورها عن فنان غير مسلم ، خاصة إذا كانت لا تشكل أي تحد من أي نوع لقيمة إسلامية ، وأتصور أنه تخلصً من هذا الإشكال ؛ إلا أنه غير دقيق لأنه ليس " مانعًا وإن كان جامعًا أي أنه لا يستطيع أن يمنع دخول غير الإسلامي . إذا لم يتصادم . إلى ساحة الإسلامي" . [٢]

ولا أدري هل الوصف وصفًا للأديب أم للأدب ، فإن كان وصفًا للأديب ، فمعنى هذا أن كل أدب يصدر مهما حمل من أفكار معادية للإسلام يأخذ صفة الأدب المسلم طالما أن صاحبه مسلم ؛ وإن تصادم مع التصور الإسلامي ولا أعتقد أن هذا مراد د/ العزب ، وإن كان الوصف وصفًا للأدب يقع في المأزق ذاته لأن كل

(١) المثال السابق المرجع السابق ص ٢٤ .

(٢) صحيفة المسلمون العدد ٤٣٧ (٢٨ من ذي الحجة ١٤١٣هـ . ١٨ حزيران يونيه ١٩٩٣م) ندون الأدب الإسلامي بالمنصورة .

أدب صدر يحمل الرؤية الإسلامية فهو أدب مسلم حتى وإن خالف معتقد الأديب الإسلام ، أيضًا لا توجد خصوصية فنية لهذا الأدب وتظل الرؤية الفكرية هي منطلق الحكم .

ونحن إذ قد عرضنا أهم البدائل التي حاولت اصطلاحًا للأدب الإسلامي فيجدر بنا أن نشير إلى بدائل أخرى .

من هذه البدائل مصطلح " آداب الشعوب الإسلامية " ولا نستطيع أن نجزم أن آداب الشعوب الإسلامية كلها ما يقع في إطار الرؤية الإسلامية ، أضف إلى ذلك تعدد هذه الآداب واختلاف لغاتها وطرائقها الفنية والتعبيرية وتفاوتها تفاوتًا فكريًا وفنيًا ، كما أن هذه التسمية لا تصمد مصطلحًا في مواجهة المذاهب الأخرى .

من هذه البدائل مصطلح " الأدب الديني " ويفهم من الاصطلاح أنه الأدب الذي يحمل طابعًا دينيًا كالأدب اليهودي والأدب المسيحي ، ولا يخص الأدب الإسلامي وحده ، وإن أردنا منه الأدب الإسلامي ، على أساس أنه لا دين غير الإسلام [1] فإن ذلك سوف يحصر في الأدب الذي يرتكز على أدب الدعوة والعقيدة ... الخ .

وطرح كذلك مصطلح " أدب العقيدة الإسلامية " فإن هذا المصطلح الأخير لا يشمل في مدلوله غير الأدب الذي يشرح العقيدة ويدافع عنها ... الخ وأعتقد أن الأدب في الرؤية الإسلامية لا يمكن حصره في هذا الجانب وحده .

(١) سورة آل عمران من الآية : ١٩ .

وهناك مصطلح " الأدب الأخلاقي " وهو وإن كان لا يتعارض مع الرؤية الإسلامية لكنه يدخل معها كل الفلسفات المثالية والعقلية ومذاهبها ، ويقدم الرؤية الأخلاقية على أساس أنها أيديولوجية بشرية ، فضلاً عن أن الأدب والرؤية الإسلامية أوسع مجالاً من هذا المسمى. (١)

بين الأدب العربي والأدب الإسلامي :

حين نلحق الأدب بأحد وصفيه " عربي " أو " إسلامي " فما المقصود وما الغاية من وراء الوصف ؟ بل ما العلاقة بين الأدب عربيًا وإسلاميًا .

حين نقول الأدب العربي ، فإن هذه المقولة تعني توصيفه وتحديده في مواجهة الآداب الأخرى ، وقد يظن البعض أن الفيصل بين الأدب العربي وغيره من الآداب الأخرى هو اللغة التي كتب بها ، ومع التسليم بذلك ، فينبغي أن نفطن إلى أن المخالفة ليست مخالفة في اللسان فحسب ؛ ولكنها مخالفة في الاتجاه والصياغة ، بحيث أصبحت العربية حين يتصف بها الأدب تحدد سمات تفضله ، وتوضحه عن غيره من الآداب .

واللغة العربية التي هي لسان الأدب العربي لغة لها خصوصيتها ولها سماتها التي انطبعت على الأدب العربي ، فاللغة وعاء فكري تصب فيه الأفكار ، وتحمل التعبيرات المختلفة ، واللغة إذا كانت قد تضمنته منذ العصر الجاهلي كأداة للتعبير فمما لا شك فيه أن صياغة العربية قد تشكلت تشكلاً جديدًا ، واكتسبت ثراء بعد نزول الإسلام ، فأخذت اللغة من الفكر الإسلامي الحاملة له ، بعد أن صارت

(١) راجع هذه الأطروحات للاصطلاحات المختلفة في مجلة الأدب الإسلامي السنة الثانية المجلد الثاني العدد الثامن ربيع الثاني ١٤١٦هـ مقال " شبهة المصطلح د/ عبد القدوس أبو صالح ص ٦ ، ٧ .

لغة القرآن والعقيدة خصوصية عن اللغات الأخرى ، فحين نطلق اللغة العربية فإن أول ما ينصرف إليه الذهن أنها لغة الإسلام الذي لا تصح عبادة المسلم إلا بحفظ قدر من القرآن ، وقد أدرك المسلمون الأوائل أن اللغة بعد الإسلام لم تعد لسان قوم ، وإنما صارت لسان دعوة ، وأخذت هذه اللغة قداسة ميزتها عن سائر اللغات ، كتب لها في إطاره البقاء والدوام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذه حقيقة يدركها كل من يلتحم باللغة العربية ، وليست تعبيرا عن موقف عاطفي أو نابعة من اتجاه تعصبي .

فإذا ما أضيفت للأدب أصبح الأدب العربي هو الإبداع الفني في الثوب اللغوي العربي الذي يكتسب مقوماته الفكرية من البيئة الإسلامية والذي ينطلق في تعبيره تحت مظلة الرؤية الإسلامية ، وصارت عقيدة وعرفًا نرفض أو نقبل الأدب العربي بمدى حرصه على التزامه بهذه الخصائص الفكرية التي منحها الإسلام للسان المعبر عنه .

ومن هنا اتخذها المسلمون من مفكرين وأدباء لغتهم وهجروا لغاتهم الأصلية ، فألفوا الكتب وكتبوا القصائد بلغة عربية ، حتى وجدنا الشعوبيين بالرغم من نعرتهم التعصبية التي أعلنوها ؛ إلا أنهم لم يتخلوا عن هذا اللسان الذي لم يعد لسان العرب وحدهم ، بل صار لسان كل المسلمين ، وتبعًا لموجات الانكسار والتخاذل التي شاعت في الأوساط الإسلامية دخل التعبير العربي غير قليل مما لا يتوافق والرؤية الفكرية الإسلامية ، ثم انقسمت وحدة المسلمين وانفصمت عراها ، وعاد كثير من شعوبها إلى لغاتهم المحلية ، وظلت هذه اللغة عند المتمسكين بها تحتفظ بعناصر الثقافة الإسلامية قرآنا وحديثًا وتاريخًا وحضارة ، وأصبحت هذه العناصر مجتمعة من أبرز الخصائص التي تميز اللغة العربية ، ثم دعا داعى الضعف في العصر الحديث إلى الجري وراء الحضارة الغربية والانبهار بثقافتها ،

مما هيأ لدخول تيارات فكرية معادية أو مناقضة للمنظور الإسلامي ، وخاف البعض من فقدان الهوية ، فبدأوا يبحثون عن الذات ، وأهم مقوماتها اللغة العربية ليس بوصفها معبرة عن الذات العربية بل معبرة عن الذات الإسلامية .

وكان مصطلح الأدب الإسلامي أحد هذه الدعوات الخائفة من فقدان الذات وضياع الهوية ، ولكنها دعوة قادها الحماس ، فافتقدت إلى الروية واتسمت بالعاطفية ، أكثر من اتسامها بالتعقل ، وأخذت ردود الفعل تتوالى بأشكال مختلفة بين مؤيدة ومعارضة ، ومن المغالطة الإدعاء بأن لغة أخرى مهما كثر عدد المسلمين المتحدثين بها توصف بأنها لغة إسلامية نعم هناك لغات للمسلمين في هذه البقاع ؛ لكن اللغة العربية تظل اللغة الإسلامية الوحيدة ، كيف لا وقد نزل بها القرآن ، وتواتر عنها أحاديث الرسول ﷺ ، وحملت آلام المسلمين وآمالهم ولا زالت " إن الإسلام لم يكن غائبًا عنها كاملاً في تاريخنا الحضاري أو الأدبي ، ولم يكن حضوره حضورًا هامشيًا ، فقد سرت روحه في تراث المسلمين كله ، وليس أدل على ذلك من كلام المستشرقين وهم فيما لا يغيب عن البال لم يكونوا يحرصون على تلك اللغة ولا يهمهم أمرها ، وإنهم هدفوا إلى قطع أواصر الارتباط بين المسلمين ولغتهم في دعوات محلية وإقليمية ، روجوا لها ، لم يكن من ورائها إلا إبعاد المسلمين عن لغة إسلامهم ، يقول " كارل بروكلمان " في كتابه " تاريخ الأدب العربي " وهو يرسم منهج كتابه " ولما كان يجدر بنا ألا ننظر إلى الأدب العربي إلا من حيث هو مظهر وقالب للثقافة الإسلامية مستخرج عن نطاق تعميم عملنا كل كتابات النصارى واليهود التي اختصت بأبناء عقيدتهم وحدهم " . [1]

(١) تاريخ الأدب العربي بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار ٤/١ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٤م .

ومع هذا الالتصاق بين الأدب العربي ، والأدب الإسلامي ، لم تكن هناك ضرورة فنية لوجود مصطلح " الأدب الإسلامي " طالما أن مصطلح الأدب العربي يقوم مقامه بل ويؤدي خصوصية لا يؤديها مصطلح الأدب الإسلامي ، لكن ما آل إليه وضع الأدب العربي في العصر الحديث من اجتراء على المقدسات والقيم تحت مسمى الحرية ، والجري اللاهث لاستقطاب نماذج الأدب الغربي وجعلها النماذج المثلى ؛ مما أدى إلى تغريب أدبنا ؛ دفع الغيورين إلى إطلاق هذا المصطلح ، ومن ثم بروزه إلى الساحة كلون من ألوان البحث عن الهوية فبدلا من أن يقفوا مع " الأدب العربي " يصححون مساره ويخططون المشروع الفكري القادم لصياغة العقلية الأدبية العربية تحت ظلال وهوية الإسلام رأوا أن في الدعوة إلى أدب عربي دعوة إقليمية تعزله عن عالمه الإسلامي .

وأرى أننا لسنا في حاجة إلى البحث عن هوية الأدب العربي فهويته الإسلامية معروفة غير منكورة إلا عند هؤلاء الذين ساروا في درب دعاة التغريب إن دعوة التصحيح لمسار الأدب العربي هى ربطه بجذوره وتوثيق عراه المنفصمة بينه وبين الروح الإسلامية في التصور والغاية ، وبالتالي إذا اقتصرت هذه الدعوة سوف يعود الأدب العربي أدبًا إسلاميًا له حضوره وعالميته . إن قضية الهوية التي يطرحها دعاة الأدب الإسلامي قضية لا تغفل أهميتها ونحن نحمل عدة تصحيح المسار.

المبحث الثالث

﴿ الأدب المقارن بين المفهوم والوظيفة ﴾

" الأدب المقارن " مصطلح وافد إلينا من الغرب ، قمنا بترجمته ترجمة حرفية على نحو ما شاع عند مبتدعيه ، دون النظر إلى إشكالية المصطلح وما يثيره أصحابه عنه من عدم دقته ولم ننظر إلى المنهج والوظيفة التي تناط بهذا اللون من الدراسة فنضع لها في عربيتنا مصطلحًا تدقيقًا يمثل ارتباطًا وثيقًا بين المفهوم والوظيفة ، ولا يدخلنا في أزمة المصطلح التي هي عند أربابه ومبتدعيه .

و" الأدب المقارن " لون من الدراسة حديث النشأة نسبيًا ، فتشير الدراسات إلى أن " الذي أشاع الاصطلاح في فرنسا هو من غير شك " أميل فرنسوا فلمان " الذي نجح المساق الذي أعطاه في السوربون في أواخر العشرينيات[١] نجاحًا منقطع النظير ، وقد نشر مادته عام ١٨٢٨ ١٨٢٩م ، تحت عنوان : (صورة الأدب الفرنسي في القرن الثالث عشر) ... ووردت في الكتاب تعبيرات مثل (صورة مقارنة) (دراسات مقارنة) (تاريخ مقارن) عدة مرات ...) . [٢]

انتشر الاصطلاح بعد فلمان انتشارًا سريعًا في فرنسا فخرجت مجلة " الأدب الأجنبي المقارن " صدرت في باريس عام ١٨٣٥م ، ثم جاء كتاب " أدولف لويبس دي بوليونسك " ، " والتاريخ المقارن للأدبين الفرنسي والإسامن" عام ١٨٤٣م في

(١) يقصد عشرينيات القرن التاسع عشر .

(٢) الأدب المقارن تأليف (كلود بيشوا انديه ميشيل روسو ترجمة د/ رجاء عبد المنعم نصر مكتبة دار العروبة بالكويت ص ١٨ وما بعدها .

جزئين [١] ، ثم توالت الكتابات النقدية تحت مسمى " الأدب المقارن " منذ كتاب " بوسنت" في عام ١٨٨٦م ، فكتاب " بول فان تيجم " تحت المسمى نفسه سنة ١٩٣١م . [٢]

نلاحظ أن هذا العلم قد نهض واستقل علمًا قائمًا بنفسه في الأدب الفرنسي لكنه ما لبث أن اهتمت به المدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية في الأدب ، وتعاونت هذه الجامعات على اختلاف مناهجها على إكمال صورته ، وترسيخ جذوره واستوائه في آداب الغرب جميعها تقريبًا ، أما نحن فمعرفتنا به لا تزيد عن النصف الثاني من القرن العشرين حين ترجم كتاب " بول فان تيجم " ، وكتاب " جويار" ، ووضع " الأدب المقارن " عنوانًا لكل منهما ، ثم بدأت الجامعات المصرية ، ومن ثم العربية في إرسال البعثات وترجمة الكتب المتعلقة بهذا اللون من الدراسة [٣] .

وكما سبق أن أشرنا أنه وفق انبهارنا الدائم دون دراية بما هو قادم من الغرب أخذنا عنهم مصطلح " الأدب المقارن " في ترجمة حرفية لكلمة (Comparative) في الإنجليزية وأخواتها في اللغات الأوروبية الأخرى وهو استخدام مصطلحي شاع عندهم وتنازعوا عليه [٤] .

---

(١) مفاهيم نقدية تأليف رنينية ويليك ترجمة د. محمد عصفور سلسلة عالم المعرفة عدد ١١٠ فبراير ١٩٨٧ ص ٣١١ بتصرف يسير .

(٢) الأدب المقارن إلى أين مقال نذير العظمة / علامات ج ٤ ـ ١٢ سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ص ١٧٩ .

(٣) الأدب المقارن تأليف د/ محمد غنيمي هلال . دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة . القاهرة . بدون تاريخ ص ٨١ : ٨٧ بتصرف كبير .

(٤) راجع ذلك ص٣٠٤ وما بعدها من كتاب مفاهيم نقدية مرجع سابق ص ٣٠٤ وما بعدها .

فهذا المصطلح " ... لا يشير إلى دلالة محددة واضحة في رأي الكثيرين لذا اقترح خصوم هذا الميدان المعرفي الجديد أن يلحق بالأدب القومي ، كما اقترح غيرهم أن يلحق بميدان الدراسات التاريخية المقارنة للأدب ، أو بالمقارنات النقدية للأدب أو بنظريته أو فلسفته دون أن يكون له هوية مستقلة وسيادة منفصلة كعلم [١] .

وقد لفت د/ زهران جبر النظر إلى كثرة الخطأ في تحديد مفهوم الأدب المقارن ، حين وقف موازنًا بين أشهر هذه المفاهيم وهما المفهومان كالفرنسي والأمريكي .

فيظهر لنا كيف تعدد المفهوم عند أقطاب المدرسة الواحدة ، فيذكر تعريفات لجويار وكاريه وغيرهما .

وكذلك يعرج على عدد من الأمريكيين من خلال تعريف ويليك وتعريف ريالك ،ولست بصدد ذكر هذه التعريفات وأحيل طالب الاستزادة إلى الدراسة المذكورة في الهامش غير أن الذي يعنينا تلك الخلاصة التي تصدرت هذا الفصل من الدراسة المشار إليها من أنه : " للأدب المقارن مفاهيم عدة تختلف حسب ظروف النشأة البيئية وقد كثر الخطأ في تحديد هذا المفهوم في دراسته وفي نشأته في كثير من الأمم " [٢] ، كما يعنيني ما انتهت إليه الدراسة فيما تعرضت له هذه المفاهيم في كلتا المدرستين من المآخذ .

(١) الأدب المقارن إلى أين نذير العظمة ـ مقال سابق ص ١٧٦ .

(٢) في الأدب المقارن د/ زهران محمد جبر ط١ سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص ١١ وما بعدها

فإن الباحثين لم يسلموا بالمدلولين دون انتقادهما ، وإظهار ما يعيبهما فعددوا كثيرًا من المآخذ عليها ... " [١] .

ورغم الاعتراضات التي انتابت مفهومه ومنهجه ، وأثارت الريب حول مصطلحه إلا أنه شق طريقه في ميادين البحث والدراسة واعترف بدوره المعرفي في كبرى الجامعات العالمية ، ولكنه غلب وشاع في أوساطهم باسم " الأدب المقارن " . وهي " نسميه ناقصة في مدلولها ، ولكن إيجازها سهل تناولها ، فغلبت على كل تسمية أخرى " [٢] .

وبمناقشة محصلة ما سبق نجد أن العلاقة بين المصطلح والمضمون غير واضحة أو محددة المعالم وإذ كنا قد نسمح بقدر من التجاوز عن الدقة الصارمة في هذه العلاقة في مجال المصطلحات الأدبية فلابد أن يكون الرابط بينهما قائمًا ، والعلاقة غير منفكة ، لابد أن تظل الصلة بينهما قوية ومنعقدة وهذا ما افتقدناه بصورة واضحة في مصطلح " الأدب المقارن " فعلاوة على اختلاف المناهج الدراسية فيه والتي قد يكون موطن التلاقي بينهما هو التأكيد على الصلات التاريخية بين الآداب في حاضرها وماضيها ، تجد الصلة بين مصطلح " الأدب المقارن " على نحو ما أسلفنا ، وبين المفهوم المراد منه ضعيفًا وباهتًا فالمقارنة المرتبطة بالأدب في هذا المصطلح لا تتحقق بشكل كامل ، ولا تمثل الجزء الأصيل في حقل هذه الدراسات ، وذلك وكما سبق أن أشرنا فإن الصلة التاريخية هي الصلة الحاكمة الأساس التي يدرس من خلالها " مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة ، في حاضرها أو في ماضيها ، وما لهذه الصلات

(١) في الأدب المقارن د/ زهران محمد جبر ط١ سنة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م ص ١١وما بعدها.
(٢) الأدب المقارن . د/ غنيمي هلال . مرجع سابق .

التاريخية من تأثير أو تأثر ، أيًا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية ، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب " [١] .

ولا تقف دراسته عند هذا الحد بل أنه يكشف عن " جوانب تأثر الكتاب في الأدب القومي بالآداب العالمية ". [٢]

ومن هنا يقتضي الأدب أن يخرج أشياء من حقها اصطلاحيًا الدخول تحت مسمى " الأدب المقارن " فحينما نعقد موازنة بين كتاب من أدب واحد لا يدحل تحت المصطلح الموضوع ، مع أن الدلالة اللغوية للمصطلح لا تستبعده ، وعلى هذا النحو فإن المقارنة بين كاتب أو أكثر في لغتين مختلفتين يستبعدها المصطلح ما لم تقم بينهما صلات تاريخية يتضح فيها تأثير أحدهما في الآخر ، ولا تقوم مقارنة بين أدب وأدب أو نص ونص ، حتى ولو وقعت المشابهة أو التقارب فيما بينها ، دون أن تظهر بينها صلة توالد وتفاعل ، ومن هنا فإن المصطلح لم يرض أصحابه الأوربيون ، وشعروا بأنه ناقص.

فالأدب المقارن يعد ناقصًا [٣] لأنه مبهم " لأننا ما زلنا مترددين أن قنع " أدب مقارن " في مادة " أدب " أم في مادة مقارن كيف نبين أن مجموع الكلمتين معًا يمثل كلا عدد الغاية بتجاوز الكلمتين تمامًا " . [٤]

(١) مفاهيم نقدية . مرجع سابق ص ٣٠٤ وما بعدها .
(٢) الأدب المقارن د/ غنيمي هلال . مرجع سابق ص ١٥ وما بعدها بتصرف .
(٣) الأدب المقارن تأليف كلود بيشوا ، وأندريه ميشيل ترجمة د/ رجاء عبد المنعم مكتبة دار العروبة بالكويت ص ١٣ .
(٤) السابق ص ٧ .

وإذا كانت تسمية الشيء تدل على الفترة الحاسمة للشعور بالمسمى كما يقول مارك بلوك ، فإن هذا لا يصدق على الأدب المقارن الذي عاش طويلاً نقبل أن يعطي اسمه الحالي في ضباب الموازنات الأدبية " . (١)

وتنازعوا المسمى فيما بينهم ، واخترعوا له مسميات عديدة منها " التاريخ المقارن للأدب " أو تاريخ الأدب المقارن ولكن مصطلح " أدب مقارن" غلب وشاع في أوساطهم (٢) .

الأمر الذي دعا : فان تيجم " إلى القول بأنه إذا استعملنا الآن " الأدب المقارن : فأخذًا بالاستعمال الأعم لاعتقاداته بدقة هذه التسمية " . (٣)

على أنه لا تزال تستعمل إلى الآن أسماء أخرى أقرب إلى الدقة والوضوح ولكنها أبعد عن الإيجاز والسهولة " . (٤)

وإذا كان الشيوع قد مكن للمصطلح البقاء وآثر أهل لغته الإيجاز والسهولة مضحين بالدقة والوضوح ، فإن الأحوط والأحرى لمن ينقل المصطلح أن يراعى وقت في اللغة المنقول إليها .

لكننا وكما أسلفت قمنا بترجمة المصطلح ترجمة حرفية ، مما أوقعنا في منزلق آخر ، هذا بالإضافة إلى ما ورثناه عن المصطلح الأصلي في لغته من افتقاد للدقة ، وتنازع على المسمى ، ومخالفة للمفهوم المراد من المصطلح .

---

(١) الأدب المقارن تأليف كلود بيشوا ، وأندريه ميشيل ترجمة د/ رجاء عبد المنعم مكتبة دار العروبة بالكويت، ص ١٤ .

(٢) الأدب المقارن د/ غنيمي هلال ـ مرجع سابق ص ١٥ وما بعدها بتصرف .

(٣) الأدب المقارن ـ فان تيجم ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ ص ١٧ .

(٤) الأدب المقارن ـ فان تيجم ـ دار الفكر العربي ، المرجع السابق ص ١٦ .

وهذا المنزلق هو عدم مراعاة الدقة اللغوية في اختيار المقابل للفظ الأجنبي من خلال تدقيق معجمي ، فلفظ " المقارن " الذي اخترناه للدلالة على هذا المصطلح يبعد بونًا كبيرًا عن مرادات الاصطلاح ، فالمقارنة في معناها اللغوي المتداول في معاجمنا تعني الاقتران والمصاحبة فقد جاء في اللسان " قرنت الشيء بالشيء : وصلته والقرين المصاحب وقارن الشيء الشيء مقارنة وقرانا أي اقترن به وصاحبه " (١) .

مع أن مرادات المصطلح هو " الموازنة " وهذا ما يجعلنا قد تجاوزنا معنى المقارنة اللغوية الواردة في المعاجم العربية ، ونزلنا إلى ما شاع من استخدام للمقارنة بمعنى الموازنة ، حيث استخدمها المترجمون بهذا المعنى ، ترجمة حرفية لكلمة (comparative) في الإنجليزية وأخواتها في اللغة الأوروبية (٢) مما يضيفه غربة أخرى للمصطلح وتهافت للصلة بينه وبين المفهوم المراد منه على تحو ما أسلفنا .

كما أن استخدامنا للفظ " أدب مقارن " تشعر أن المقارنة تلك تتم بين أدب واحد وهذا ما لم يقل به أحد من واضعي أو دارسي الأدب المقارن إذ لابد أن تتم المقارنة بين أدبين أو أكثر في لغتين أو أكثر ، ولا يعقل أن نسمي أدبين أو أكثر في لغتين بمسمى أدب ونخلع عن كل لغة صفة الخصوصية التي يتميز بها أدبها ، وهكذا نرى أنه على مستوى المسمى فقط ؛ فإن مصطلح " أدب مقارن " يفتقد إلى الدقة اللغوية ولكن الناقل أو المترجم لم ينظر إلى الدقة التي تقتضيها العربية في

(١) لسان العرب مادة " ق ر ن " .

(٢) مفاهيم نقدية مرجع سابق ص ٣٠٤ وما بعدها .

الاصطلاح فكان منزلقًا آخر يضاف إلى المنزلق العام الأول وهو مخالفة التسمية في لغتها لمضمون الأدب المقارنة ووظيفته .

فالموازنة بين ابن هانئ والمتنبي أو بين أبي تمام والبحتري ، وبين شوق وحافظ لا تمثل وفق مناهج الأدب المقارن دراسة مقارنة ، لأنها لا تخرج عن إطار الأدب القومي الواحد والموازنة بين قصيدة البحيرة للبحتري ، وقصيدة البحيرة للامارتين لا تعد من الأدب المقارن لافتقاد صلة التأثير والتأثر بينهما ، فلامرتين لم يثبت أنه اطلع على قصيدة البحتري ، كذلك الموازنة بين بشار وملتن وقد اشتركا في عاهة واحدة هي فقد البصر لا تعد من الأدب في شيء لافتقاد الصلة بينهما كذلك ، بل إن عرض النصوص والموازنة بينها مهما بلغت درجة القرب أو التشابه فيما بينهما لا تدخل في مجال الأدب المقارن ، مما دعى د/ حسن جاد بعد أن عدد ما سبق إلى القول " المسألة مسألة اصطلاح على كل حال فإن المدلول اللغوي لكلمة " الأدب المقارن " يتسع لكل هذه الدراسات ، ولا يفرق بين المقارنة والموازنة"[١].

لكن ألا ترى أنه رغم ما يبدو من أهمية الأدب المقارن في إظهار تلاقي الحضارات وإبراز المعالم الإنسانية المشتركة بين الآداب في لغاتها القومية عبر الصلة التاريخية كأساس لمنهج هذا الحقل المعرفي قد حول الأعمال الأدبية إلى وثائق تاريخية للاستدلال على علاقات الماضي السحيق ، وأن دراسة الأدب وفق هذا المنهج قد يتخطى الحدود السياسية والقومية ، وقد يظهر علاقات التأثير والتأثر بين الحضارات ، وقد ينجز اتصالاً إنسانيًا عامًا في التجربة الأدبية لكن ألا ترى أنه قائم على رصد الظواهر الفكرية والأشكال التعبيرية في معزل عن اللغة ،

(١) الأدب المقارن د/ حسن جاد حسن ـ دار الطباعة المحمدية ط ١٩٦٧ ص ١٠ .

فهو منقطع عن الموازنة اللغوية قسرًا ، لأن لكل لغة خصوصيتها التي تظل عندها ظاهرة التأثيرات الأسلوبية للغة أخرى فيه ضعيفة وباهتة ، فالوعاء اللغوي مهما نقلنا إليه تظل للظاهرة اللغوية خصوصيتها وسياجاتها التي لا تحطمها عبور الأفكار وقد فطن "فان تيجم" إلى هذا الاعتراض " فالدساتير والألوان والأصوات لا تعرف الحدود القومية ، خلافًا للأدب ، فإن اللغة عنصر أساسي في الأثر الأدبي فإذا أردتم أن تنظروا إلى الآثار الأدبية نظرة عالمية فقد أفرغتموها من أصيل ما فيها .... ". وبعد أن أورده لم يستطع الإجابة عليه إلا من خلال قوله : " ... إذا كانت اللغة عنصرًا أسياسيًا في الأثر الأدبي فليست بالعنصر الوحيد وفي معظم الأحوال تظل النصوص قابلة لأن تقارن بعضها ببعض ".[١]

وهي إجابة لا تغني ولا تغض النظر من أن دراسة الأدب المقارن تسقط من حساباتها ما لخصوصية اللغة القومية على حساب الدرس العالمي. [٢]

وهكذا تجاوز المصطلحون الأوربيون فى إطلاق مصطلح الأدب المقارن ، فسايرنا تجاوزهم ، وتابعناهم حذوك النعل بالنعل ؛ فيما أصابوا أو تجاوزوا ، فظل المصطلح عندنا كما هو حاله عندهم قلق مضطرب ، لا ترتبط دلالته بمفهومه ارتباطا مباشرا أو وثيقا .

(١) الأدب المقارن ـ فان تيجم ترجمة د/ سامي الدروبي ـ دار الفكر العربي بجون تاريخ ص ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧ .

المبحث الرابع

﴿ بين الأدب الحديث والأدب الحداثي ﴾

يجدر بنا ونحن نقف مع مصطلح " الحداثة : أن نبحث عن مدلولها اللغوي ، فهي مشتقة من مادة " حدث " وقد ورد في اللغة " حدث حدوثًا وحداثة فهو حديث " ويقال حدث على مثال قدم بالضم وأما حداثة فمصدر تحدث فهو على غير قياس أما حدث بضم فلا بأس أن تكون حداثته مصدرًا لها .

أما المصدر القياسي لحدث بالفتح فيكون حدوثًا [١] والحداثة أول الأمر وابتداؤه وهي شباب العرب .

وإذا كانت الحداثة مصدرًا لحدث بالضم فإن الزمن داخل في المفهوم فتكون كل حداثة بالية مع الزمن ومن ثم تسقط دعوى استمرارية الحداثة ، ولعل البحث عما بعد الحداثة لدليل على ذلك حتى إن ما بعد الحداثة يسقط مع الزمن فتحتاج إلى ما بعد البعد وهكذا ، فينقطع عطاء الحداثة بانقطاع زمانها وإن كانت العلاقة وثيقة بين المدلول اللفظي والاستعمال الاصطلاحي ، فإن المصطلح "حداثة" مصطلح خاص بوقته وتسقط بمعنى دعوى الاستمرار .

أما ما تعنيه الحداثة اصطلاحا فهي : " اتجاه فكري أشد خطورة من اللبرالية والعلمانية والماركسية ، وكل ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة ، ذلك أنها تضمن كل هذه المذاهب الفكرية ، وهي لا تخص مجالات الإبداع الفني ، والنقد الأدبي ، ولكنها تخص الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية

(١) انظر القاموس المحيط في ذلك مادة حدث .

على حد سواء " ، وهي بهذا المفهوم الاصطلاحي " اتجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع " [١].

بين الحداثة والمعاصرة :

وتمشيًا مع الرؤية الغربية فإن الحداثة والمعاصرة متمايزتان حيث إنه " لم تعد الحداثة عند نقاد الغرب هي المرحلة الزمنية التي يعيشونها ، فقد اختاروا : المعاصرة " تعبيرًا موفقًا لهذا المعنى وأصبحت الحداثة عندهم أيضًا تعني هذه الحالة التي أصبح عليها الشعر،بل الرواية والمسرح والفن...الخ ". [٢]

والحق أن التمايز الذي أشار إليه الدكتور غالي شكري وفق التوجه الأوربي لا يصمد عند المحققين للمصطلح إذ يتعين وفق رؤيته المستوردة أن أدبين على النقيض في توجههما الأدبي أحدهما يتعبد في محراب التراث ، والآخر يعربد في مرقص الحداثة ، فنقول عن أدبهما إنه أدب معاصر ، إن الأديب الذي يعيش في الماضي بإبداعه ، فإنه من الحيف أن نصفه بالمعاصرة ، ليس لأنه مشدود إلى الوراء بعقله وثقافته ، ولكنه يعيش زمنًا غير زماننا بإبداعه فأي معاصرة تلك التي تنعت بها هذا الإبداع ، فالحداثة والمعاصرة مترادفتان أدبيًا ، إذا أردنا ألا نبعد بالحداثة عن حدود الإطلاق المشروع وهو وصف التجديد والتحديث داخل إطار فكرنا العام ، لكن من يريد أن يميز بين الحداثة والمعاصرة هم أصحاب المحاولات التي أقحمت ما عرف في أوربا بالحداثة وفق العديد من التطورات الفكرية والفنية التي شهدتها لتصبح الحداثة العربية مصطلحًا يماثل الحداثة الغربية ، وهنا لابد من وقفة

(١) الحداثة في الأدب المعاصر ـ هل انفض سامرها ، د . محمد مصطفى هدارة ، مجلة الحرس الوطني ربيع الآخر ١٤١٠ هـ .

(٢) شعرنا الحديث إلى أين ؟ غالي شكري دار الشروق ط١ سنة ١٩٩١ ص ٧ .

متأنية لمحاولة وضع الأمور في نصابها ، ليس هناك وحدة حضارية تربطنا بالغرب ، ومن ثم فإن التغيرات الفكرية ، والتطورات الأيديولوجية لسنا شركاء فيها وقد لا تعنينا ، إلا من منطلق الشراكة الإنسانية فناتج هذه التغيرات لا ينبغي أن نتبناه ونحن لم نعايش الحضارة الغربية بمتغيراتها ، صحيح أن تكون بيننا هوة حضارية تستدعي استيراد العلم أو منتجاته ، لكننا لسنا في حاجة إلى استيراد كامل أفكاره واللهاث ورائها ، فالفوقية العلمية والتكنولوجية للعرب ، لا تعني الدونية الفكرية لنا ، بمعنى أنه قد تخلف واقعنا ، وانسحق حاضرنا ، لكن الحقيقة التى لا تقبل المراء أن تراثنا سيظل صرحًا فكريًا ، نعم لا نقف عنده بل نضيف إليه ، ونطعمه بمذاقات الثقافات الأخرى أحيانًا ، لكن لا نستبدله ، فينسلخ جلدنا ، وتضييع هويتنا .

لكن ما نقوله شيء ، وما يعترف به الواقع شيئًا آخر ، فلم يعد الشاطئ العربي ملتقى للتيارات الوافدة فحسب ، بل انعقد الغبار فوقه واتسعت الضبابية عند الكثيرين بفعل الرياح الهوجاء القادمة إلينا من الغرب ، وانتصر الغزو في بموجاته القادمة ، وغدونا نردد مفاهيم الحداثة الغربية ، بل صرنا ملوكًا أكثر من الملك كما يقولون . فقد تكسرت الحداثة فى الغرب ، وبدءوا يفتشون عما وراء الحداثة ، ولا زال أكثر مثقفينا يدافعون عنها ويؤصلون لها .

فماذا يعني مصطلح " الحداثة فى الغرب ؟ :

إن مفهوم الحداثة لا نكاد نجد اتفاقًا حول معنى محدد له ، ولا يقدم لنا أربابه تعريفًا مانعًا جامعًا ، وإنما يعرفونه تعريفًا إجرائيًا يثير إشكالات عديدة في التعامل معه نقدًا وتحليلاً،ويوقع في الكثير من الالتباس ، فأشكال الحداثة متعددة ، وإن سارت جميعها فى اتجاه قطيعة متعمدة وأبدية مع الأسس التراثية لكل من الثقافة الغربية والفني الغربي " فهناك من يرى أن البداية الجادة للحداثة كانت " بعد الحرب العالمية الأولى التي زعزعت إيمان الناس بمبادئ الغرب وثقافته وزلزلت

ثقتهم في استمرارها " [١]. ثم نجد من يعيب على المفهوم السابق قصره الحداثة على الفترة الزمنية التي أشار إليها التعريف ويرى أن الإرهاص بالحداثة كانت له محاولات سابقة ، وأن جذور الحداثة " ضاربة بلا مراء في كتابات أدباء حالوا التكيف مع الفلسفة الجديدة للوجود الإنساني التي خرجت من عباءة فكر مختلف " [٢] .

فممارسة الحداثة إذن واكبت مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم كنمط تغييري نمطي مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية . [٣]

إذن فالحداثة " ممارسة اجتماعية ونمط من الحياة يقوم على أساس التغيير والابتكار " [٤] . إن تاريخ الحداثة يبدو لنا بمثابة الشبكة المتداخلة يحكمها ثلاثة اتجاهات معنوية الأول القطيعة مع الماضي وكل ما يمثل مرجعية تراثية من عقيدة وأخلاق وحياة اجتماعية وثقافية .... الخ ، والبعد القيمي أو الدلالي ، وهو أن الحداثة ليست حداثة زمانية ، ولا يدخل الزمن في مفهومها ، البعد الثالث التجاوز

(١) الحداثة وما بعد الحداثة فى الخطاب الأدبى / إبراهيم نصر الدين عبد الجواد دبيكى /كلية اللغات والترجمة / جامعة الملك سعود .

(٢) موسوعة الأدب والنقد ج١ مجموعة من الكتاب الغربيين تقديم وترجمة د / عبد الحميد شيحة المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩ ص ٢٥٧ وما بعدها .

(٣) مقاربات مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة مقال على وطنه بتصرف كبير " مجلة "فكر ونقد" إصدار د / محمد الجابري سبتمبر ١٩٩٧م .

(٤) المرجع السابق .

وهذا يعني أن الحداثة لا تقف عند حد ، فكل حداثة تتجاوز وتلغي ما سبقها ، فهي أفق مفتوح على اللانهائي [١].

والحداثة ليست كما عرفها الغرب مصطلحات خاصة بالنقد والأدب ولكنها كانت ثورة على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع وتمتد لتشمل الحياة الإنسانية في جميع جوانبها ومجالاتها الفكرية على حد سواء ، فهي قد عبرت عن الفوضى الحضارية والفكرية التي عمت الحياة بعد الحرب العالمية الأولى على حد تعبير " مالكوم برادبري " [٢].

وهي مثلت شكلاً عالميًا فهي ليست وليدة ثقافة واحدة وإنما امتدت من روسيا شرقًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية غربًا ، وضمن مذاهب فنية كثيرة بشرت بها واحتضنتها كالمستقبلية والتصويرية والانطباعية والسريالية ، بل واستخدمت مصطلحات أخرى تدل على إبداعها غير الحداثة كمصطلح الصورية عند إليوت والشعر المحسوس أو المجسد عن أبولينيز . مما يدعونا إلى موافقة الأستاذ صالح الطعمة في أن الحداثة " ليست أحادية اللغة وليست أحادية الأصل ، وليست مرتبطة بمرحلة زمنية واحدة ، بل متعددة اللغات ، ومتعددة الأصول ونتاج مراحل زمنية متداخلة "[٣] .

---

(١) مفهوم الحداثة في الفكر والفن عن ترجمة هاشم صالح للفصل الأول من كتاب "الحداثة " لاليكس نوس الأستاذ في جامعة مونتريال بكندا ، إصدار المطبوعات الجامعية الفرنسية ١٩٩٩م عن نشر مجلة " جسور الثقافة العدد (٥) السنة الأولى .

(٢) الحداثة بالكوم برادبري ، ترجمة مؤيد فوزي حسين مركز الإنماء الحضاري حلب ١٩٩٥م ٢٧/١ .

(٣) الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة ، صالح جواد الطعمة مجلة مصر عدد ٤ سنة ١٩٨٤ ص ٣١ .

وما سبق أن قدمناه يمثل " متاهة مفهومية تجعل من الحداثة موضوعًا يستعصى الإمساك به ، بل وتحوله إلى مفهوم فضفاض واسع إلى درجة أنه يفقد معناه الخصوص أو المحدد " . (١) مما حدا بنقاد غربيين إلى وصفه بأنه مصطلح مطاط كما رأى روجر (٢) ، أو ما أكده مالكو برادبري من أن " هذه التسمية تحتوي على الكثير من ظلال المعنى الذي لا تنجح في استخدامه بصورة دقيقة " (٣) .

وعلى الرغم من فوضى المفهوم كما رأينا فقد حققت الحداثة نمو متسارعًا وتميزت بظهور عدد كبير من التيارات والنظريات في كافة مجالات المعرفة ، وقد تنامت هذه المعرفة بصورة خطفت أبصار اللاهثين وراء نقل أضواء الغرب دون التفريق بين ما هو مضيء حقيقة ، وما هو نار موقدة حارقة ومدمرة ، وهذا ما اعترف به مفكروالغرب ونقاده واستشعروا أن الحداثة بنزعتها العقلانية ، ومغامراتها العلمية لن تحقق الغايات التي كانت تطمح لتحقيقها ، فالحضارة المادية العقلانية التي تنبتها أدت إلى تراجع القيم الإنسانية ، ودفعت الإنسان إلى دوائر الاستلاب والاغتراب (٤) مما حدا بالمفكرين الغربيين إلى نقدها والثورة عليها ، فيرى " نورين " أنها تطورت ضد ذاتها ، ويؤكد جان جاك روسو ١٧٧٨ ـ ١٧١٢ على أن الحضارة المادية العقلانية تؤدي إلى تراجع الأخلاق وتراجع القيم الإنسانية وتدفع الإنسان إلى دوار الاستلاب والاغتراب " . .

(١) مفهوم الحداثة في الفكر والدين ترجمة هاشم صالح مقال سابق .

(٢) الشاعر العربي المعاصر ، ومفهومه النظري للحداثة مقال / صالح جواد الطعمة مجلة فصول العدد ٤ السنة ١٩٨٤ ص ٣ .

(٣) مقال " تناقضات الحداثة العربية " د / كريم الوائلي، نشر اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين.

(٤) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة على مقال سابق بتصرف كبير .

وتزاحمت الانتقادات على ما عرف بمذهب الحداثة ووصلت في رأي مهندسي الفكر الغربي إلى مرحلة التفريغ ليستكشفوا أفق ما بعد الحداثة وصار ما بعد الحداثة مذهبًا فكريًا يغزو الحياة الغربية ، ومن عجب أن حداثيينا راحوا يلهثون وراء المذهب الجديد .

في غمرة الانتقادات التي وجهت للحداثة ، وقد عرضنا لبعضها وهي تشكل انتقادات منهجية ، بدأ البحث عن خلاص من الحداثة منطلقين إلى ما بعد الحداثة ، ولأن ما بعد يعني المعرفة المتيقنة بما قبل ، ولأن مفهوم الحداثة ذاته كان عرضة لانتقادات واسعة عرضت بمفهومه وأسقطته من حسابات الدقة والموضوعية فإن مفهوم " ما بعد الحداثة " ظل غائمًا يقدم مجموعة من التصورات المتشعبة بتناقضات كبيرة وتعبر في الوقت نفسه " عن سعي حثيث إلى وصف العصر الجديد بمفهوم لم تتحدد معالمه بعد "[١] فتحول مشروع ما بعد الحداثة إلى حركة تنطلق من الحداثة ذاتها ليعود إليها بدلا إثرائها وإتمام مشروعها وإلى هذا يشير " إيهاب حسن " أحد المنظرين في هذا المجال إلى صعوبة تحديد مفهوم ما بعد الحداثة " . [٢] ، و يرى صاحب كتاب " الحداثة وما بعد الحداثة " أن مصطلح " ما بعد الحداثة " ينطوي على لبس وخدعة في الدلالة ، وينتهي إلى أن ما بعد الحداثة يضطلع بوظيفة التطعيم والدعم والمراجعة ولا يخرج عن خط الاستمرار والصيرورة الذي رسمت الحداثة لنفسها باعتبارها مفهومًا غير قابل للاستنفاذ " [٣] ، وعلى هذا فما بعد الحداثة عنده يرادف الحداثة يقول " لا يمكن لعمل أن يصبح حداثيًا إلا إذا كان ما بعد حداثيًا أولاً ، وما بعد الحداثة بناءًا على هذا الفهم ليست الحداثة

(١) مقال مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ص ٢٢ مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) الحداثة وما بعد الحداثة محمد سبيلا / مرجع سابق / ص ٥٥ بتصرف كبير .

بمفهومها بل في حالة الميلاد" [١] . ومن ثم فإن مرحلة ما بعد الحداثة " لا ترفض عطاءات المرحلة الحداثية بل تأخذها وتعيد إنتاجها ... ما بعد الحداثة محاولة لإعادة ترتيب الإشكاليات المطروحة ومن ثم العمل على تنظيم تناقضاتها وإدماجه في حركة التطور الإنساني . [٢]

وفي هذا السياق كان ما بعد الحداثة رفض مفاهيم حداثيته لكل من العقل والذات والعقلانية والمنطق والحقيقة ، فهي مقولات مرفوضة والحقيقة وهم لا طائل منه ، فهي ترفض اليقين المعرفي ، والمنطق التقليدي الذي يقوم على تطابق الدال بالمدلول ، كما يلح على إسقاط القيم والمفاهيم المتوارثة أيًا كان مصدرها بوصفها فيما فرضتها الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية . [٣]

والتعريف يوقفنا على ما تدعو إليه الحداثة دون مواربة ، فهي اتجاه ينزع إلى القطيعة الكاملة مع التراث وفصل ماضي الأمة عن حاضرها في محاولة لصياغة تصور غير نمطي ، وإقامة إطار جديد لقيم الحياة ومقوماتها ، وهى بهذا المفهوم قد غذت الفكر العربى ، وما يخلفه ذلك من سلب الأمة أعز ما تملك من تراثها المعرفي والقيمي ، والتهوين من شأن هذا الميراث ؛ وهكذا رأينا غياب المفهوم ، وضبابية المشهد الفكرى فيما بين الحداثة وما بعدها ، ومع كل ما أسرفنا في الحديث فيه لبيان أوجه الخلل في تلك المفاهيم المسماة بالحداثة وما بعدها ؛ إلا أن دعاة الحداثة عندنا تلقفوها منبهرين بها ، كما أوجدوا لها المحاضن في بيئتنا العربية ، وحرثوا لها تربة خصبة نمت وترعرعت فيها على يد روادها

(١) الحداثة وما بعد الحداثة محمد سبيلا / مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٢) مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة مقال مجلة فكر وتقدم . مرجع سابق ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) المقال السابق ص ٢٢ وما بعدها بتصرف كبير .

المنبهرين بالفكر الغربي ، من أمثال أدونيس ، ود: غالي شكري ، د. كمال أبو ديب ، وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي المعالم مع محمد عفيفي مطر وغيرهم من شعراء ونقاد يتوزعون على الخريطة العربية ، بل بدأوا ينظرون لها ويشرحون مصطلحها على الرغم مما رأيناه من أن أصحابها ودعاتها ومن نشأت بين ظهرانيهم ؛ عجزوا عن وضع مصطلح علمي لها ، ورغم تهافت مصطلح الحداثة عند مخترعيها في الغرب ، وجدنا دعاتها من العرب يتحمسون لها بل يتعصبون من أجله ، على الرغم من إسقاطها لكل موروث ومقدس ، تتجاوزه وتتمرد عليه ، ولم يقف الأمر فيها عند حدود الأدب واللغة بل شمل الدين والأخلاق والقيم والعلم ، فهى هدم لا تجديد وتخريب لا إبداع ، وانسلاخ من الدين والهوية وقطع للجذور ، وكل من تنبه لذلك وأشهر سلاحه في وجههم وصفهم سدنتها بالجهلة وأنصاف المثقفين .

وتعالى معى نستعرض مفهومها الاصطلاحي عند أنصارها ودعاتها من العرب لنرى أي مذهب ذهبوا وأي حداثة أرادوا ، وسوف نعرض لبعض هذه التفسيرات لنرى ما فيها من فوارق فكمال أبو ديب يحاول وضع سمات تميزها من خلال **خصائص ثلاثة** :

أولها : أن مفهوم الحداثة يتسم بالشمولية ويتجاوز الآداب والفنون إلى الصناعة والتكنولوجيا .

ثانيها : أنها ظاهرة لا تاريخية ، وأن مكوناتها الأزمنة ، وأنها تتجاوز السياقات التاريخية والاجتماعية .

ثالثها : أن الحداثة تنزع على نقل محور الفاعلية الإبداعية من مستوى الرسالة إلى مستوى الترميز " . [١]

والحداثة بالشكل الذي أورده كمال أبو ديب تقصر عن أن تقدم مفهومًا مطلقًا للحداثة ، وهو تابع فيما ذكره لكثير مما أوردناه عن مضمون الحداثة في الغرب .

ود. شكري عياد يحاول أن ينجز فرقًا بين الحداثة الأوربية والحداثة المنزرعة في الأرض العربية بأنها " حداثة قوم مختلفين لهم تطورهم وظروفهم ومتغيرات وافقهم " . [٢]

وأما الدكتور : جابر عصفور " فيرى أن الحداثة تأتي حين لا تتمرد الأنا الفاعلة للوعي على طرائقها المعتادة في الإدراك ، سواء أكان إدراك من حيث هي حضور متعين فاعل في الوجود،أو إدراك علاقتها بمواقعها ، من حيث هم حضور مستقل في الوجود ، حيث يستبدل فيه بالمطلق النسبي وباليقين الشعري " [٣].

ويلاحظ المتابع لتفاسير مصطلح الحداثة كما أوردنا بعضه عند منظريه من العرب أن هناك فجوة واضحة بين هذه التصورات ، فالكثيرون منهم يجمعون بين الحداثة كمنهج فكري يدعو إلى الثورة ، وبين التمرد على الموروث والسائد والنمطي بأنواعه المختلفة عقيدة ولغة وأدبًا وأخلاقًا ، ويعلنون ذلك صراحة في كتبهم ومؤلفاتهم فهذا أدونيس في كتابه " الثابت والمتحول " لا يمكن أن تنهض الحياة

(١) مقال " الحداثة في الشعر " كمال أبو ديب مجلة فصول عدد ١ سنة ١٩٨٢ ص ٢٦١ بتصرف .

(٢) مقال " الحداثة في الشعر " كمال أبو ديب مجلة فصول عدد ١ سنة ١٩٨٢ ص ٢٦٢.

(٣) نظريات معاصرة جابر عصفور دار المدني بيروت ١٩٩٨ ص ٢٦٨ وما بعدها .

العربية ، ويبدع الإنسان العربي إذا لم تنهدم التقليدية السائدة للفكر العربي ويتخلص من المبني الديني التقليدي الاتباعي " [١] ، وهم قد خلطوا خلطًا متعمدًا بين الحداثة والتحديث والمعاصرة لإحداث إرباك لدى القارئ العربي ، فيختلط مفهوم الحداثة بدلالة مصطلحات أخرى وهم يعترفون بصعوبة تحديد دلالة اصطلاحية للحداثة فهي تبدو " أشهر المصطلاحات خلافية بسبب عدم تجدد معناه بدقة وعدم معرفة أسباب وظروف نشأته وبسبب عزله عن السياق التاريخي وطغيان إحدى دلالاته الجزئية على المفهوم " [٢].

ويرى هادي حمودي " أن تجديد دلالتها أمر عسير لأنها بإنزال غير محددة في أوربا ، وإذا حددت فإنها تخضع للمواقع المختلفة والانتماءات المتباينة للكتاب والتزاماتهم [٣]. في حين أن الكلام عن تحرير مفهوم للحداثة " يكاد يكون لغوًا في نظر أدونيس [٤] .

وهكذا أسفرت نتائج البحث عن المصطلح عن ذبوله وتلاشيه رغم ما صحبه من صخب وضجيج ، وبان لنا أن المصطلح المزعوم ليس إلا نتاج أمة تعاني من انفصام فى سياقها التاريخي ، وهذا مالا يتوافق وطبيعة الفكر العربي بما له من التحام عضوي يصعب معه تفكيك بناءه المعرفى ، ونقول لدعاته إنها ليست بثورة على الإبداع العربي المعاصر ، لكنها في حقيقتها ثورة على عقيدتنا وموروثنا الأخلاقى ، وهدم لصرح تراثنا ، وانفصام عن تاريخنا وماضينا ، وضياع لحاضرنا ، وعبث بمستقبلنا .

(١) مجلة الحرس الوطني السعودي ، مقال د/ محمد مصطفى مدارة ربيع الآخر ١٤١٠هـ .
(٢) فتنة السرد والنقد نبيل سلطان ، دار الحوار اللاذقية ١٩٩٤ ص ٥٢ .
(٣) الحدث في الشعر مجلة فصول مرجع سابق ص ٢٦٥ .
(٤) النص القرآني وآفاق الكتابة ـ أدونيس دار الآداب بيروت ١٩٩٣ ص ٩١ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

فهذا ما وفقنى الله إليه ، فى دراستى لموضوع (المصطلح الأدبى بين دلالة المفهوم وإشكالية التنظير) والذى حاولت من خلالها إلقاء الضوء على أهمية المصطلح ودوره فى حياتنا الفكرية والأدبية منها على وجه الخصوص ، وقد اخترت الوقوف إجرائيا مع أربع مصطلحات منها على سبيل الانتخاب أولها مصطلح أدب رأس الدراسة كلها لنرى مدى الاتساق التعبيرى بين الأدب فى مفهومه والأدب فى منهجه ومنظوره ، ثم وقفت مع مصطلح الأدب ومنظوره ، ثم وقفت مع مصطلح الأدب الإسلامى ، وناقشت المصطلح من خلال منظريه ومنتقديه ، ثم أدليت بدلوى ، وأوضحت وجهة نظرى فى اصطلاحه وضرورته ، وكان ثالثها مصطلحا وافدا ، فهو مسمى الأدب المقارن ، وأبنت خلال مناقشتى له ضرورة أن يتنبه الناقل للمصطلح الغربى ليعقد ملاءمة صحيحة بين الاصطلاح بمدلوله ومنهجه فى لغته المنقول منها وبين لغتنا العربية ، لنتمكن من تصحيح مصطلحاتنا المنقولة ، وتعريبها على وجهها الصحيح ، ثم ختمت هذه الاختيارات بمصطلح الحديث والحداثة ، ومدى دقة كل منهما ، ودور المستغربين العرب فى انتقاء لمناهج ومصطلحات ليس بغرض تطعيم أدبنا ودعم ثقافتنا ، وإنما لتحطيم تراثنا ، وفقد هويتنا ، وقد حاولت فى مناقشاتى وعرضى أن أرتدى مسوح القاضى المنصف ، وأن أقدم لحكمى بالدليل ، ما وسعنى إلى ذلك سبيل ، وقد توصل البحث إلى النتائج التالية :

أولًا : أن الحاجة ماسة وداعية إلى ضرورة العناية بالمصطلح ، ومواكبة مستجداته لأن الاصطلاح هو الكشف المفهومي الذي يقيم للمعرفة النوعية سياجها المنطقي

ثانياً : أن المصطلحات الأدبية تختلف عن المصطلحات العلمية فالثانية تحدد المصطلح عليه تحديدا قاطعا ، بينما المصطلح الأدبى يتمتع بقدر من المرونة لأن طبيعة الأدب غير طبيعة العلم ضرورة

ثالثاً : غياب الدقة في اختيار المقابل العربي المناظر لدلالة المصطلح في لغته الأم لضعف الناقل إما في لغته ، أو في اللغة المنقول عنها ، مما يحدث سقطة للناقل في اختيار المرادف الملائم للمصطلح الذي يعربه ،

رابعاً : تعدد الناقل فى ظل غياب الهيئات والمجامع اللغوية ، بحيث تعددت المصطلحات لمفهوم واحد ، وشاع استخدامها في تعددية يصعب معها الاتفاق على مصطلح واحد لمفهوم واحد .

خامساً : الانتقائية والهوى فى نقل لاصطلاحات انبهر بها أصحابها من أهل الثقافات الغربية ، دون النظر إلى ملاءمتها لفكرنا العربى من عدمه .

وقد خلص الباحث إلى عدد من التوصيات:

أولًا : العناية بالتعريب للمصطلحات الوافدة من خلال المجامع اللغوية ، ولا تترك للاجتهاد الفردى مما يحدث الفوضى والارتباك فى محيطنا الأدبى .

ثانياً : ملاءمة المصطلح المعرب أو المنحوت لحمل الدلالات وأداء الوظيفة المحملة له من المصطلح في لغته الأصلية

ثالثاً : توحيدالمصطلحات بين الناطقين بالعربية فى المجالات الأدبية ، ولا يترك مشاعا فتتبدد الجهود ونصبح فى فوضى من المصطلحات يوذن بالقطيعة الفكرية بين أبناء اللغة الواحدة فى المجال الواحد .

ثبت بالمصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم

ثانيًا : مصادر السنة النبوية المطهرة

١ الجامع الكبير – سنن الترمذي ، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، المحقق: بشار عواد معروف ، ج ٣ ص٤٠٢/الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م

٢ سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي ، كتاب الأدب ج٢ ص١٢١١، ذكره مرفوعا

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٦٥٩/٨ / ج٨

٤ سنن أبي داود / المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت /ج٣ ص١٣ ١٩

٥ مسند أحمد ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، ١٤٨ .

٦ شرح النووي لصحيح مسلم المسمى بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م

الدواوين الشعرية :

١ ديوان الأعشى /ميمون بن قيس / شرح وتعليق :د م محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية .

٢ ديوان طرفة بن العبد / المحقق: مهدي محمد ناصر الدين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٣ ديوان عدي بن زيد العبادي / حققه وجمعه : محمد جبار المعيبد / منشورات وزارة الثقافة والارشاد _ مديرية الثقافة العامة ، بغداد _ ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م

ثالثاً : المصادر والمراجع العامة

١ "الأدب الإسلامي، أصوله وسِمَاته" / محمد حسن بريغش/ مؤسسة الرسالة

٢ الأدب الإسلامي ضرورة ، أحمد محمد علي ، دار الصحوة القاهرة ١٩٩١م .

٣ الأدب الإسلامي / محمد خلف الله / لجنة الترجمة والتأليف والنشر / القاهرة ١٩٤٧م .

٤ الأدب الصغير /عبد الله بن المقفع / تحقيق أحمد زكى باشا ط١ ١٣٢٩هـ، ١٩١١م

٥ الأدب الكبير / عبد الله بن المقفع / تحقيق أحمد زكى باشا ط١ بدون تاريخ

٦ الأدب المقارن تأليف (كلود بيشوا انديه ميشيل روسو ترجمة د/ رجاء عبد المنعم نصر مكتبة دار العروبة بالكويت

٧ الأدب المقارن / حسن جاد حسن . دار الطباعة المحمدية ط ١٩٦٧ ص ١٠ .

٨ الأدب المقارن . فان تيجم ترجمة د/ سامي الدروبي . دار الفكر العربي بجون تاريخ

٩ الأدب المقارن / محمد غنيمي هلال . دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة . القاهرة . بدون تاريخ

١٠ الأدب وفنونه - دراسة ونقد المؤلف: عز الدين إسماعيل الناشر: دار الفكر العربي

١١ "الإسلامية والمذاهب الأدبية""د. نجيب الكيلاني" مؤسسة الرسالة

١٢ الأسس اللغوية لعلم المصطلح . محمود فهمي حجازي ، مكتبة غريب بدون تاريخ

١٣ الأسلوب / أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣

١٤ الأصمعيات / الأصمعي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م

١٥ أصول النقد الأدبي . أحمد الشايب /مكتبة النهضة المصرية ، ط١٠ سنة ١٩٩٤

١٦ الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا ، تأليف: منال إسماعيل عجوب ، الناشر: وزارة الثقافة الهيئة العامّة السورية للكتاب دمشق ٢٠١١

١٧ البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق / عبد السلام هارون ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ

١٨ تاريخ الأدب العربي/كارل بروكلمان / ترجمة عبد الحليم النجار ٤/١ دار المعارف . القاهرة ١٩٧٤م

١٩ الثقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٩،

٢٠ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧

٢١ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ا: أحمد زكي صفوت /الناشر: المكتبة العلمية بيروت–لبنان.

٢٢ جمهرة اللغة / أبو بكر بن دريد / دار الكتب العلمية–بيروت –لبنان / الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م

٢٣ الحداثة بالكوم برادبري ، ترجمة مؤيد فوزي حسين مركز الإنماء الحضاري حلب ١٩٩٥م

٢٤ دراسات في الأدب الإسلامي/ سامي مكي العاني / منشورات المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٥م

٢٥ دراسات في الشعر الإسلامي والأموي/عبد القادر القط /دار النهضة العربية

٢٦ دراسات في فقه اللغة / د صبحي الصالح /دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ،الطبعة السادسة عشر ٢٠٠٤

٢٧ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون ، المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٢٨ زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، تحقيق ذكي مبارك القاهرة ١٠٥٣م .

٢٩ شرح أدب الكاتب لابن قتيبة /المؤلف: أبو منصور ابن الجواليقى (المتوفى: ٥٤٠هـ) قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي /الناشر: دار الكتاب العربي

٣٠ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ص الناشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٣١ شعرنا الحديث إلى أين ؟ غالي شكري دار الشروق ط١ سنة ١٩٩١

٣٢ الصاحبي في فقه اللغة وسنن في كلامها / أحمد بن فارس تحقيق السيد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

٣٣ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤلف : أحمد بن علي القلقشندي ، الناشر : دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، تحقيق : د.يوسف علي طويل

٣٤ العصر الإسلامي /شوقى ضيف/دار المعارف مصر

٣٥ العقد الفريد / ابن عبد ربه ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ج١ص٢٨٠ ،

٣٦ علم المصطلح أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة، على القاسمى : مكتبة لبنان:ناشرون، بيروت–لبنان، د–ط، ٢٠٠٨.

٣٧ العمدة في محاسن الشعر وآدابه / ابن رشيق القيروانى/تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٣٨ عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ

٣٩ فتنة السرد والنقد / نبيل سلطان ، دار الحوار اللاذقية ١٩٩٤

٤٠ في الأدب المقارن د/ زهران محمد جبر ط١ سنة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م

٤١ في الأدب الإسلامي المعاصر/ د/ محمد حسن بريغش /مكتبة المنار . الأردن ١٩٨٥م .
٤٢ فى الأدب والنقد/ د. محمد مندور/نهضة مصر للطباعة والنشر / الفجالة ، القاهرة
٤٣ القسطاس في علم العروض: الزمخشري ، المحقق: الدكتور فخر الدين قباوة الناشر: مكتبة المعارف بيروت – لبنان الطبعة: الثانية المجددة، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م
٤٤ الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢/١ نشر مؤوسة المعارف بيروت . بدون تاريخ .
٤٥ االلآلي في شرح أمالي القالي : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى تحقيق : عبد العزيز الميمني : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان . الطبعة : الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م
٤٦ اللغة العربية لغة العلوم والتقنين د/ عبد الصبور شاهين دار الإصلاح / الدوحة ط/ ١ سنة ١٩٨٣م
٤٧ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور الأنصاري /المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا / الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م
٤٨ مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر د/ إبراهيم عوضين مطبعة السعادة ١٩٩٠
٤٩ "مدخل إلى الأدب الإسلامي""د. نجيب الكيلاني" سلسلة (كتاب الأمة) التي تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر
٥٠ مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامى / عماد الدين خليل / دار ابن كثير
٥١ المصون في الأدب المؤلف: ابن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مطبعة حكومة الكويت الطبعة: الثانية، ١٩٨٤ م
٥٢ مفاهيم نقدية تأليف رنينية ويليك ترجمة د. محمد عصفور سلسلة عالم المعرفة عدد 110 فبراير 1987

٩٣ مقاييس اللغة / أحمد بن فارس بن زكريا (ت) عبدالسلام هارون (ط1) دار الجيل
٩٤ مقدمة في نظرية الأدب تأليف نير ايجلتون ترجمة أحمد حسان إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة " كتابات النقد " سبتمبر 1991م
٩٥ مقدِّمة لنظريَّة الأدب الإسلامى عباس المناصرة/ مؤسسة الرسالة ، دار البشير"
٩٤ مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي / عبد الباسط بدر / دار المنارة للنشر السعودية 1985م
٩٥ منهج الفن الإسلامي محمد قطب ، دار الشئون القاهرة ط6 سنة 1983م .
٩٧ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد / لعبد الرحمن رأفت الباشا .نشر / دار الأدب الإسلامي
٩٩ النص القرآني وآفاق الكتابة . أدونيس دار الآداب بيروت 1993
٤٠ نظريات معاصرة جابر عصفور دار المدني بيروت 1998
٤١ نظرية الأدب ، رينيه ويليك / أوستن وارين : ترجمة : محي الدين ، ط دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر
٤٢ النقد الأدبي : أصوله ومناهجه / سيد قطب / دار الشروق /الطبعة السادسة1410هـ / 1990م
٤٣ النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور / دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة

رابعا : المعاجم والقواميس اللغوية والمتخصصة وكتب التراجم

1 أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، المؤلف : صديق بن حسن القنوجي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٧٨م ، تحقيق : عبد الجبار زكار .
٢ أساس البلاغة / جار الله محمود بن عمر الزمخشري / ج٢ ط ٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥
٣ الأعلام / خير الدين الزركلي ج٥ دار العلم للملايين يوليو ١٩٨٩
٤ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمّد مرتضى)، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب

٥ التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

٦ الجاسوس على القاموس / أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب القسطنطينية سنة ١٢٩٩هـ

٧ الزينة في المصطلحات الإسلامية والعربي أبو حاتم الرازي ٣٢٢ هـ /المحقق : حسين بن فيض الله الهمداني ود. عبد الله سلوم السامرائي ة /مركز الدراسات والبحوث اليمنى ط١ ١٤١٥هـ ١٩٩٤م

٨ قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية . أحمد أبو سعد ، مكتبة لبنان ط . بيروت ١٩٨٧م

٩ القاموس المحيط الفيروزآبادي / دار الجيل . بيروت . لبنان

١٠ كشاف اصطلاحات الفنون " للتهانوي " محمد علي الفاروقي تحقيق لطفي عبد البديع المؤسسة المصرية سنة ١٩٦٣م

١١ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ،

١٢ لسان العرب، ابن منظور، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت–لبنان، د–ط، ١٩٨٨.

١٣ لسان العرب . جمال الدين بن منظور / المجلد الأول / دار صادر بيروت ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م

١٤ المصطلحات الإسلامية العربية للشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي تحقيق د/حسين الحمداني مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٥٦ .

١٥ معجم الأدباء / ياقوت الحموي تحقيق: إحسان عباس : دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

١٦ المعجم الأدبي د/ جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ط١ أزار سنة ١٩٧٩م .

المعجم المفصل في الأدب إعداد محمد التوبخي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٩٩٣ ٣٤٩/١ .

١٧ المعجم الوسيط ، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق / مجمع اللغة العربية. بدون تاريخ .
١٨ مفاتيح العلوم / الخوارزمي ، تحقيق: إبراهيم الإبياري ، الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الثانية ١٩٨٥م

خامسا : الدوريات :

١ الأدب الإسلامي/ مجلة دورية تصدرها رابطة الأدب الإسلامى/ السنة الثانية العدد الخامس رجب ١٤١٥ هـ مقال : مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين د / أحمد محمد على حنطور، السنة الثانية العدد السابع محرم ١٤١٦ مقال أنور الجندي / من أسلمة الأدب العربي إلى إنشاء أدب إسلامي ، السنة الثانية المجلد الثاني العدد الثامن ربيع الثاني ١٤١٦هـ " شبهة المصطلح " د. عبد القدوس صالح ، السنة الثالثة العدد ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ الأدب الإسلامي والخروج من المأزق د/ عبد الحميد إبراهيم
٢ تناقضات الحداثة العربية " مقال/ د / كريم الوائلي / نشر اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين .
٢ جسور الثقافة ، العدد (٥) السنة الأولى ، مفهوم الحداثة في الفكر والفن عن ترجمة هاشم صالح للفصل الأول من كتاب "الحداثة " لاليكس نوس الأستاذ في جامعة مونتريال بكندا ، إصدار المطبوعات الجامعية الفرنسية ١٩٩٩م .
٣ صحيفة المسلمون العدد ٤٣٧ (٢٨ من ذي الحجة ١٤١٣هـ . ١٨ حزيران يونيه ١٩٩٣م) ندوةالأدب الإسلامي بالمنصورة .
٤ الحرس الوطني ، مجلة يصدرها /الحرس الوطني السعودي ، الحداثة في الأدب المعاصر . هل انفض سامرها مقال د/ محمد مصطفى هدارة ربيع الآخر ١٤١٠هـ .
٥ اللسان العربي / الاصطلاح : مصادره ومشاكله . مقال ليحيى عبد الرؤوف جبر / العدد ٣٦ ص ١٤٣ سنة ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .
٦ علامات في النقد الأدبي . دورية من إصدار النادي الثقافي الأدبي /المصطلح النقدي وأليات صياغته ، مقال د / عبد السلام المسدي بجدة / محرم ١٤١٢هـ / يونيه ١٩٩٣م ، ج١ إصدار ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م ، مقال د / عبد الملك مرتاض . (نظرية . لغة . أدب) ، ج ٤ . ١٢ سنة ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م ، الأدب المقارن إلى أين مقال نذير العظمة

٧ فصول مجلة النقد الأدبى ، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، مقال " الحداثة في الشعر " كمال أبو ديب عدد ١ سنة ١٩٨٢ ، عدد ٤ سنة ١٩٨٤، مقال ، الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة ، صالح جواد الطعمة

٨ "فكر ونقد" مجلة أصدرها د / محمد الجابري سبتمبر ١٩٩٧م / مقاربات مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة مقال على وطنه.، عدد ٣٢ .

٩ مجلّة إسلاميّة المعرفة، إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الدراسة المفهومة مقاربة تصوّريّة و منهجيّة ، مقال (سعاد كوريم) عدد٦٠، السنة ١٥، ربيع ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، بيروت-لبنان ..

١٠ مجلة جامعة الخليل للبحوث ، قسم اللغة العربية ، جامعة اليرموك إربد . في المصطلح العربي . قراءة في شروطه وتوحيده . علي توفيق الحمد . جامعة اليرموك ، المجلد الثانى ، العدد الأول ٢٠٠٥ .

١١ مجلة " فكر ونقد " مجلة ثقافية فكرية ، رئيس التحرير : محمد عابد الجابري ، صدرت أول مرة في سبتمبر ١٩٩٧ مصطلح الدرس الأدبي . مقال / محمد العربي عدد ٢٠.

١٢ مجلة كلية اللغات والترجمة / جامعة الملك سعود / الحداثة وما بعد الحداثة فى الخطاب الأدبى / إبراهيم نصر الدين عبد الجواد دبيكى

١٣ مجلة اللسان العربي مجلد ١ ج ض ص ٢٩٧ بتصرف مقال د/ تمام حسان : نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية .

١٤ مجلة المورد . رسالة في المودة . ٤٠٧ سنة ١٩٧٨

١٥ موسوعة الأدب والنقد ج١ مجموعة من الكتاب الغربيين تقديم وترجمة د / عبد الحميد شيحة المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩

سادسا : الرسائل الجامعية

١ (المؤدبون والمعلمون في الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي) رسالة جامعية / م.م . كريم ماهود مناتي. . كلية الآداب / الجامعة المستنصرية. /العراق .